الفنان بين الحرية والمسؤولية

بقلم الدكتور محمد النويهي



يستطيع الفن اذن ان يتجرد من مسئوليته الاجتماعية ، فاذا لم يكن باستطاعته ان يتجرد منها فليس باستطاعة الفنان ان يتخاص من مسئوليتـــه الاخلاقية عن النتائج التي قد تكون لفنه فى مجتمعنا ، واحتجاجه بأن طبيعة الفن الخاصة تعفيه من هذه المسئولية هو احتجاج مرفوض ، لاننا حين نمعن النظر فى هذه الطبيعة الخاصة نجد انها ليست لا تعفيه من المسئولية الاخلاقية فحسب ، بل هي تضاعف مـــن مسئوليته هذه اضعاف ما يقع على كاهل الفرد العادي ، لان انتاج الفنان اكبر تأثيرا فى بناء المجتمع وابلغ اثرا فىتغيير اوضاعه وتعديل نظمه وعاداته ومعتقداته. ان انتاج المهندس او الطبيب قد تكون له نتائج عظيمة فى تعديل اوضـــــاع مجتمعنا ، ولكنها على عظمها محدودة فى العادة بحدودحقلها الخاص . اما انتاج الفنان فيتطرق الى فهمنا لماهية حياتنا البشرية نفسها ، وادراكنا لوجودنا البشري ، وتقديرنالمحل مجتمعنا الانساني فى الكون ومحلنا نحن فى هذا المجتمع ، وعلاقة بعضنا بالبعض . فالذي يتصدى لممارسة هذاالعمل الخطير لا يستطيع ان يتبرأ من مسئوليته الجسيمة نحـو مجتمعنا الانساني ، بل مسئوليته تفوق مسئولية اي فرد آخـــر .

قد يقول قائل : ان عالم الطبيعة او عالم الاجتماع او عالم النفس يمارس هو الاخر عملا تكون نتيجته تعديل فهمنـــا للكون والمجتمع والنفس البشرية . وهذا صحيح ، ولكن تناوله العلمي الهادىء الموضوعي لهذه المسائل يجعله اقـــل قدرة على التأثير السريع المباشر ، نتائجه اكثر بطءا وهي لذلك اقل خطرا من تأثير الفن ، الذي يخاطب عواطفنـــــا مخاطبة مباشرة شخصيةيضطرم لهاكياننا الانساني اضطراما عنيفا . الفنان اذن يتناول بيده سلاحا ماضيا سريع الفعل فلمجتمعه الحق كل الحق ان يسأله كيف يستعمل سلاحه ولاي غرض .

ولكننا اذا تخاصنا من هذا الراي الذي ينفى مسئوليـــة الفنان نحو مجتمعه ، نواجه رأيا اخر لا يقل تطرفا ، وان يكن فى الطرف النقيض . يقول اصحابه : ما دام للفن هذا التأثير الحيوي الخطير فى مجتمعنا الانساني ، فانه يجـــوز للمجتمع ان يتدخل في انتاج الفنان ، ليس بمجرد اصدار الحكم عليه ، بل بحيث يملي على الفنان كل ما يريد املاءه ، ويفرض عليه ما يعتقد انه ينفع مجتمعه ويناسب اوضاعه، ويخضعه لجميع مقاييسه ومثله ومعتقداته ، ويجبره على خدمة اهدافه المعينة وتحقيق آماله المحددة فى احدى فتراته، ويصادر منه ما يرى انه خارج على هذه المفاهيم او ضاربها.

واعتراضنا على هذا الرأي مبني ايضا على فهمنا لطبيعة الفن ووظيفته فى حياتنا الانسانية . فعمل الفن ان يزيـــد من فهمنا لتجاربنا وان يتعمق ادراكها وتقديرها بما لا يتاح لاكثرنا . فالفنان بما اوتي من شحذ خاص وحساسيـــة زائدة يكون اعمق فهما وادراكا وتقديرا لهذه التجارب من سائر الناس ، ومعنى هذا ان نظرته اليها تكون دائما مخالفة للنظرة المعهودة مخالفة تصغر وتكبر . فاذا اخضعناه لهذه النظرة وحرمنا عليه الخروج عليها فقد منعناه من ان يستغل ميزته الخاصة في عمله الذي اعدله . اضف الى ذلك ان الفن ليس مجرد حكاية للتجارب او تسجيل حرفي لهـا ، وليس مجرد انعكاس آلي لاوضاع المجتمع كانعكاس الصورة في المرآة ، بل هو تقدير لهذه التجارب وحكم عليها ، يقبل منها ويرفض ، ويؤيد ويعارض ، اي انه يحاول دائما ان يدخل تعديلا وتغييرا يقودان الى تطوير هذه الاوضاع . وهذا التطوير ربما لا يوافق عليه معظم افراد المجتمع ، بل هم فى الغالب يعارضونه ، لانهم يفضلون ما الفوه ويخشون التغيير .

المجتمع غالبا يؤثر ان يظل جامدا فى احواله ومقاييسه وعرفه وتقاليده ، وهو يعارض الداعين الى تغييرها معارضة كثيرا ما تكون عنيفة ، ولكنه ـ لكي يبقى ـ محتاج الـــى التجديد المستمر والدفع الى الامام . والفنان يحاول هذا بفنه ، بل الفن قد يكون اقوى اسلحتنا في تجديد المجتمع . فان سمحنا للمجتمع بان يحجر على محاولته التجديدية هذه فاننا نضر ـ لا بالفن وحده او بالقيم الفنية وحدها ـ بل بالمجتمع نفسه فى اخر الامر ، اذ نسمح له بأن يبقى فى حالة من الجمود تنتهي بالتعفن والانحلال .

فلندرك جيدا ان الفنان دائما يخالف في رأيه ووجهـة نظره الراي السائد ووجهة النظر الشائعة خلافا ينقـص ويزيد . ولكن الفنان كما رأينا احد حسا واعمق تأثرا وابعد ادراكا كالمغزى التجارب الانسانية ، فهو اقدر على الحكـم عليها . ليس معنى هذا اننا ندعي انه دائما مصيب ، فهـو قد يخطىء وقد يكون خطأه جسيما . هو لا يستطيع ان يدعي العصمة ، ولكن ينبغي الا نتسرع فنحكم على انتاجه بالخطأ والضرر كلما خالف مقياسا من مقاييسنا الاخلاقية الاخلاقية او تقليدا من تقاليدنا الاجتماعية او رايا من آرائنا المحببة الى نفوسنا .

نحن لا نخلي الفنان من المسئولية الاخلاقية ، ولا نعليه عليها ، ولكن ليس معنى هذا ان نخضعه لكل تفاصيل العرف الاخلاقي المعين الذي يسود مجتمعنا ما فى فترة محددة من الزمن . فان هذا العرف نفسه قد يكون هو المحتاج الـى التجديد حتى يلائم الاحوال الجديدة للمجتمع .

المجتمع في حالة تبدل مستمر فى اوضاعه الماديـــة والسياسية والاجتماعية ، ومن الواجب ان تساير مقاييسه الاخلاقية هذا التبدل ، ولكن تشبث الناس بها وكرههـم

(التتمـة فى صفحة ١٢)

• القيت فى معهد الدراسات العربية العالية فى القاهـــرة

روح الربيع

مل قلبي من الضلال فدعه   فى حمى الفكر يسترد امانه
لا ترقرق لي السراب بدنيا   غرقت فى عبابه ظمآنه
قل لمن زخرف الفراغ غرورا   حلية الكأس ان ترى ملآنه
من يرعه الجمال فتنة شكل   انا اهواه روحه ولسانه

لا تقل لي الربيع قد زخرف السفح   ووشى على الربى الوانه
قد عرفت الربيع فهو صبي   الدهر يغري بلهوه صبيانه
ماسخ حكمة الربى ثرثرات   لقنتها سفوحه غدرانه
وصلاة الكهوف رنة ناي   ارقصت فوق سفحه قطعانه
توجته يد السحاب فداست   ارجل البهم في الربى تيجانه
ما وقاه سلطانه من اذى   الجور ولا اسطاع ان يقي سلطانه
كيف تحميه شوكة فتقتها   لك كفاه زهرة ريانه
هو طفل الطبيعة الفر قلبي   مسترق لامه الفتانة
انا شاركته قديما هواها   وعلى ثديها اقتسمنا لبانه
قد تملقتها به يوم ثرثرت   لديها مقلدا الحانه
وتقربت نحوها بخطاه   حاملا فوق مبسمي اقحوانه
وتناسيت منطقي فى هواها   مستعيرا من طفلها هذيانه
قربتني ، ما انكرتني كأني   كنت روح الربيع او ريحانه
لا تسلني عن الصبابات فى قلبي   والقى عن معطفي ريعانه
وذوت بسمة اطنى واستحالت   غصة فى فم يعض بنانه
لمن الزهر نجتنيه ؟ فدعه   لاراه مكفنا اغصانه
لا حبيب اعطيه نفحة قلبي   لا صديق اذيقه اشجانه
كان للزهر بهجة فى جفوني   يوم كانت حشاشتي بستانه

شاخ مجد الربيع فى الارض وانهار   فأمست عكازه صولجانه
وتهاوى بربه العرش نعشا   حلي اعراسه غدت اكفانه
فلنكلمه لامه من تكول   مزق اليأس حلمها والرزانه
ولوكت فى السفوح تبكي فتاها   وتلوث على الربى عريانه
اي نارت الربيع ؟ أين بقايا   من كنوز حرية بالصيانه
حفظتها له الربى ، كل غار   فيه كنز وكل كهف خزانه

يا حبيبي دع القنوط فقلبي   لم يلملم عن الجياع خوانه
هو قلبي في راحتيك ، اجنبي   كم تمليت عاصرا شريانه
من دمي رونق بوجهك يزهو   فوق عطفيك مسدلا ارجوانه
لا يرعك الربيع يشحب فى السفح   ويطوي عن الربى لمعانه
انا ارجعته اليك فتيا   ضاحك البشر لابسا عنفوانه
رحمته الحقول يخمل فيها   فأوته من شاعر ديوانه
هو روح الربيع ، دونك كأسي   لك قطرت شمسه وجنانه
لم ارقرق لك السراب شرابا   فخذ الكأس من يدي فلآنه
كيف يشعيك دفقة الصمت نبع   رنة الخلد رافقت جريانه
سيقول الجمال ان عاش بعدي   ليت كل لازمان كن زمانه
يخرس الحلي في التراب وتبقى   حليتي حول جيده رنانه

فارس سعد





بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي



هذا الفصل من السنة تطلع الثريا من الشرق بعد مغيب الشمس بوقت قصير . ووراء الثريا والى الشمال منها يبزغ الميزان بنجومه الثلاثة المتتالية على خط مستقيم عمود على الافق . اما فى جنوبها فيبزغ نجم متلالىء كأنه بين نجوم الليل المتهافتة البريق مصباح متألق ليس مثبتا كسائر الكواكب على زرقة السماء الداكنة بل يقع ادنى منها الى العين بآلاف آلاف الاميال. هذا النجم المتلالىء هو رفيقي فى هذه الايام حين انصرف من مكتبي فى المدرسة الى داري التي تقع شرقي البلدة بعد كل غروب . ففي الطريق الطويلة المهجورة التي يسودها الظلام والتي اسلكها حوالي الساعة السابعة من كل مساء تضطرب خواطري بين مختلف الافكار والمواضيع مما مر بي فى يومي المنقضي او مما ينتظرني فى الغد المرتقب او مما اخشاه او ارجوه او اهواه ، ولكن بصري يظل دائما منجذبا الىصفحة السماء القائمة امامي فى اخر الطريق الطويلة وفوقحواني الابنية المتواضعة التي تشغل جانبيها ، منجذبا بوجه خاص الى هذا النجم المتلالىء الذي يقع الى يسار الثريا اسطع فى بريقهمن نجومها المتجمعة واكثر بهاء من كواكب جارها ، الميزان ، الثلاثة . هل سطوع هذا ألنجم وبهاؤه هما وحدهما اللذان يجذبان بصري اليه ؟ .. قطعا لا . ان اكثر ما يربطني الى هذا النجم هي الذكريات ،ذكريات احداث لم ينسنيها مرور اربعة اعوام علي او عليها ولكني فى هذا العام وفى هذه الايام ، وفى اماسي هذه الايام بصورة خاصة ، اجدها تغلي فى نفسي وتجيش بقوة كأن حوادثها تحيا فيها من جديد .

لكل نفس ذكرياتها التي تهمد وتثور وتنام وتستيقظ خاضعة فى همودها وثورتها وفي نومها ويقظتها لالف عامل وعامل . واذا كانت ذكريات نفسي قد حيت فيها هذه الايام فربماً لان الظروف شاءت ان يكون الجو فى مطلع شتاء هذا العامفىهذه البلدة الداخلية الصغيرة مثله منذ اربعة اعوام فىتلك المدينة الساحلية: صحوا فى كل الليالي لا تختفي فيه النجوم وراء السحب ويظل فيه هذا النجم ، جار الثريا والميزان ، فى اروع بهائه . او ربما حيت ذكريات نفسي لاني اعيش فى هذه الايام حياة وحدة ممضة منذ عينت مديرا للمدرسة الثانوية المؤسسة مجددا فى هذه البلدة ، لا سمير لي فى هذه الوحدة الا افكاري وذكرياتي. وسواء اكان هذا او ذاك فاني في كل امسية اسلك فيها الطريق المقفرة من المدرسة الى داري اجد بصري منجذبا الى هذا النجم البهي الضياء اتطلع اليه كأني اتعرف في ومضات اشعته على الاشعة التي كانت تلمع فى عيني جازية حين كانت تنظر اليه او ان موجات ضوئه التي تجيء من وراء الازل تحمل في طياتها صوت تلك الفتاة والكلمات التي كان يهمس بها صوت تلك الفتاة والافكار التي كانت تحملها تلك الكلمات ... افكارا كانت تبعث فى تلك الايام الابتسامة الى شفتي عطفا ورثاء وسخرية ضاحكة ولكنها الان تتردد فى خاطري وكأن وميض شعاع النجم البراق يؤكدها ويصدقها ويسفه آرائي المكذبة لها غير المؤمنة بها ...

كان ذلك منذ اربعة اعوام حين عينت فى مستهل حياتي التعليمية مدرسا للعلوم في احدى ثانويات مدن الساحل. ففي اولالسنة الدراسية عامئذ ربطتني معرفة وثيقة قاربت ان تكون صداقة بمدرس الادب العربي في تلك الثانوية الذي كان لتقدمه فى السن وكونه من ابناء المدينة ولطولعهده بالمدرسةاجدر زملائي بأن يعرفني بالمدينة وناسها والمدرسة وطلابها. ولم تمض ايام على معرفتنا حتى جاءني صديقي هذا يسألني فيما اذا كنت اجد من وقتي فراغ ساعتين اوثلاث ساعات فى الاسبوع استطيع فيها ان اعطي دروسا خاصة فى العلوم لابنته التي حال بينها وبين متابعة دروسها فى العام الفائت مرض قطعها عن زميلاتها فى صف البكالوريا الذي التحقت به هذا العام . فلما اجبت رجاء صديقي بالايجاب بدأت معرفتي بجازية وكانت جازية ابنة صديقي ، وكأن اسمها الغريب عنوان لشخصيتها المفردة المتميزة عن غيرها ، كانت فتاة ذات طابع خاص تختلف كثيرا عن كل الفتيات اللواتي عرفتهن في سنها . لم يكن تفردها فى جمالها ، فقد كانت دقيقة القد حلوة التقاطيع لا تصطدم العين فيها بما يؤذيها كما لا يلفت النظر منها حسن باهر ، ومع ذلك فقد كان يلف تكوينها معنى خاص من الوداعة والجاذبية ربما كان مصدره ، بل لا شك في ان مصدره كان ذلك المرض المزمن الذي عرفت امره بعد توثق معرفتي بجازية والذي حالف جسدها الشاب الرقيق منذ ثلاثة اعوام خلت. لااحسبالناس كلهم تتفاعل نفوسهم تفاعلا واحدا امام المرض المزمن الواحد . فثمة اناس يسوء خلقهم ويتشوه خلقهم فيصبحون مستكرهين بغضاء اذا الزمتهم الفراش علة طويلة وآخرون اذا اصيبوا بالعلة نفسها رأيت محياهم يكسي سماحة ورضى ونفوسهم تزداد رقة ودماثة حتى ليخيل اليك ان داءهم الوبيل قد اضفى مسحة من القداسة على ملامحهم وعلى سجاياهم . وقريبا من هذا كان فعل المرض المزمن بابنة صديقي الرقيقة اليافعة . كانت مصابة بنزف متكرر فى معدتها حير الاطباء ، كلما ظنوا انهم قد لجموه وانتهوا منه عاود الفتاة المسكينة فسلبها عافيتها واوهن قواها وتظاهر فيها بالنحول وشحوب اللون وفقر الدم ، ولكنه فى كل هذا لم يزد مظهرها الا رقة ولطف ومعنى . وحين رأيتها لاول مرة كان اول ما لفت نظري فى محياها الدقيق طول اهداب عينيها واضطرام وجنتيها وسرعةتردد انفاسها ، وما علمت الا بعد ذاك بأن كل هذا الذي لفت نظري منها واعجبني فيها كان انعكاس انفعالها الشديد على جسمها العليل . فقد كان اول لقاء لي بها حين دخلت غرفة الاستقبال علي وعلى ابيها ففوجئت بوجودي اذ لم تكن على علم به ، فوقفت بالباب يخفق صدرها بشدة وقد توقد وجهها حين هجم على وجنتيها الشاحبين كل دم رأسها وخفقت اهدابها التي مدها النحول بشدة على عينيها السوداويين الواسعتين ، ثم لم تلبث بعد لحظات الانفعال الاول ان تمالكت نفسها وتحركت من موقفها متقدمة لتحييني .

بدأت دروسي لجازية مرة كل يومين اوثلاثة ثم اصبحت دروسا يومية او كادت ان تكون كذلك . وفى الحق لم يكن جهدا ذلك الذي كنت ابذله فى تلقين جازية ، فى امسية كل يوم، دروس الفيزياء والرياضيات بل كان انسا لي وترويحا لنفسي فى صحبة فتاة ذكية متقدة الروح والمشاعر . حبب صحبتها الى نفسي انها ، على كونها شابة اكبر سنا من اكثر طلابي في الثانوية ، كانت بوصفها ابنة زميل لي وبالهشاشة التي تركتها العلة المزمنة فى جسدها احوج الى الحدب والرعاية واقرب الى اشباع الرغبة التي تملأ نفس كل معلم شاب فى ان يؤكد لنفسه ثقته بنفسه وان يفرض هيبته على طلابه .وكان درس كل مساء يملأ ساعة من الزمن كنا نقضيها فى بهو الدار الواسع لا يتطرق حديثنا غير المعادلات الرياضية وقوانين الطبيعة والكيمياء . فاذا انقضت تلك الساعة انتقلنا لتناول الشاي او القهوة الى شرفة الدار المطلة على منطقة غير معمورة من المدينة نستطيع ان نتأمل منها

اضواء السفن الماخرة بعيدا فى البحر من جهة او نجوم السماء فوق الجبال من جهة اخرى . وكانت جازية تصر دوما على ان تبقي نور الشرفة مطفأ ، فلما سألتها يوما عن ذلك قالت بشيطنة تلميذ ضبط وهو متلبس بتنفيذ احد فصوله :

ـ ذلك لاننا لن نتحدث فى قوانين الكهرباء المغناطيسية يا استاذ ... فى الظلام استطيع ان اوجه الى ابي او اليك وان اقول له او لك عن اشياء لا اجرؤ عليها فى النور ... الا تجد ان الظلام ارق قلبا واودع من النور الصارخ ؟

ولم اجبها على سؤالها هذا حينذاك ولكنني جاريتها فى البقاء فى ظلام الشرفة بعد ساعة الدرس في كل مساء نشرب القهوة ونتحدث وحدنا انا وهي احيانا وانا وهي وزميلي ابوها فى احيان اخرى فى مواضيع الساعة وحكايات الناس وحوادث العالم . وحتى حين اخذ البرد يتسلل الى الامسيات الساحلية الدافئة كنا نحرص على البقاء في الشرفة المكشوفة وقتا يطول ويقصر حسب مشاغلنا واهمية احاديثنا وتحملنا لرطوبة الجو فى العراء . وقليلا قليلا اخذت احاديثنا انا وجازية تخرج عن احاديث الاستاذ وتلميذته الى احاديث ندين يتداولان الاراء والمعلومات ويتناقشان ويتجادلان فى حدة وحماس بين حين وآخر . لقد كانت جازية، فى خلال هذه الاحاديث ، تسمع لي باحترام وايمان فى كل ما هو معرفة ومعلومات ان فى احداث التاريخ او قوانين الطبيعة اوفى الحقائق الثابتة لعلم الحيوان او البيولوجيا ولكنها كانت ، حين نصل الى الاراء التي تبنى على تلك الاحداث او القوانين او الحقائق ، تتخذ موقف الواثق بنفسه مرتأية برأيها لا تقبل ان تأخذ آرائي انا قضايا مسلمة . ووجدتني اصغي اليها فى البدء وعلى شفتي ابتسامة التشجيع والعطف ثم ابتسامة الاعجاب ثم الدهشة بعد ذلك . فقد كان لهذه الفتاة العليلة آراؤها الخاصة ، الغريبة أحيانا ، وآراؤها المتكاملة فى كثير من القضايا التي كنت اظن سنها ودراستها وعلتها قد شغلتها عنها . لم لا أقول الحقيقة ؟ كنت مرارا عديدة انسي من انا ومن الفتاة التي تواجهني فاحسب نفسي فى نقاش مع منافس لي معتد بنفسه وبسعة معلوماته وبقوة حجته علي فاتخذ فى بعض القضايا موقف المتحمس المتعصب لوجهة نظر معينة لا لان تلك الوجهة كانت راسخة الصواب في نفسي حقا بل لان حماس منافستي فى اتجاه كان يدفعني الى الحماس في الاتجاه المضاد . وحين اتنبه الى ذلك كنت اقول لنفسي ما ارادت جازية الظلام الذي يرين على مجلسنا فى الشرفة لتكتسب به الجرأة فى حديثها كما قالت لي تلك المرة بل لتخدعني به عن نفسها وتوهمني عن حقيقتها : الفتاة الوادعة الرقيقة، تلميذتي وابنة زميلي ...

فى ذات مساء ونحن على الشرفة المظلمة رفعت جازية بصرها الى السماء تتأمل فى كواكبها وقالت :

ـ هل تعرف هذه النجوم يا استاذ ؟

فتطلعت الى حيث كانت تتطلع، الى النجوم التي تبدو كأزرار فضة لامعة على رداء من القطيفة الزرقاء القاتمة ، وقلت :

ـ ليس كلها يا جازية ، اعرف عددا غير قليل منها .

واخذت اتفقد بين النجوم التي بدأت تتسلل الافق من الشرق تلك التي اعرفها واعرف اسماءها ، وتابعت كلامي بقولي :

ـ هل ترين هذه النجوم الثلاثة اللامعة على خط واحد ؟ .. انها حزام الجبار اونطاق الجوزاء ولكن الناس يسمونها الميزان لتماثلها فى البريق ولانتظام تشكيلها . ووراءها نجم يكاد ان يكون المع النجوم غير الكواكب السيارة يبدو كأنه يسوق الميزان امامه ولذا فان العامة تسميه سائق الميزان واسمه الفلكي هو الشعري . هل سمعت بالشعري اليمانية ؟

قالت جازية :

ـ اذكر ان هذا الاسم مر بي في قراءة بعض الاشعار القديمة .

قلت ضاحكا :

ـ اذا كانت معلوماتك الفلكية مستقاة من الاشعار الغزلية فلا بد انك اذن تعرفين الثريا حق المعرفة .

فهتفت متسائلة :

ـ الثريا ؟ اين هي ؟

فادرت بيدي رأسها ماسا باصابعي خصل شعرها على صدغيها لاوجه بصرها الى نجيمات الثريا وقلت :

ـ انها عنقود من النجوم الدقيقة اللامعة كما ترينها الان ... هل تريدين ان تري نجومها السبعة ، او التسعة ، وهي فى الحق اكثر من ذلك بكثير ، بصورة اوضح ؟ ما عليك الا ان توجهي بصرك الى اي كوكب قربها فترين الثريا حينئذ باوضح ما يكون . لا تعجبي من هذا ، فالنور الذي ترسله مجموعة الثريا اغلبه من زمرة النور آلاحمر وما يقاربه من انوار الطيف، وحاشية الطبقة الشبكية فى عين الانسان اكثر تحسسا بهذه الزمر من النور من مركز تلك الطبقة ، ولذا فان رؤيتها فى حاشية العين اسهل من رؤيتها بالنظرة المباشرة ...

فرفعت جازية يدها اليمنى الى رأسها وضغطت باناملها المقرورة على كفي وقالت :

ـ استاذ ... استاذ ... لا تغرق في الشرح العلمي فتفسد جمال الصورة . اظن الثريا مثل كل امرأة ، لا تهتم بمن ينصب عليها بكل نفسه مثل اهتمامها بمن ينظر اليها بحاشية عينيه متظاهرا باللامبالاة ... اليس كذلك ؟ وهذا النجم البراق الذي اراه اشد بهاء حتى من الشعرى اليمانية ، ما اسمه ؟

فسحبت كفي من تحت كفها الباردة وقد اخذت بملاحظتها الجريئة عن خلق النساء، كأن التي تلفظت بها امرأة محنكة لا جازية الغرة ، ولم افطن الى سؤالها الاخير الا حين اعادته علي بقولها :

ـ يبدو لي ان بريق هذا النجم يختلف عن بريق النجوم الاخرى ، فهو بريق خفاق.. متحرك .. حي .. يكاد ان يتكلم . ما اسمه يا استاذ ؟

فتطلعت الى النجم الذي تعنيه . كان حقا المع من الشعرى واكثر منها بهاء ينبض نوره فى عين الناظر كأنه قلب خافق . ليس في هذه المنطقة من السماء نجم من الثوابت لامع غير نجم الدبران ، ولكن هذا يقع وراء الثريا بينما كان النجم الذي تشير اليه جازية يقع امام الثريا والى يسارها . فقلت :

ـ ليس هذا نجما بل كوكب سيار . ربما كان المشتري او المريخ ... فليس لغير هذين السيارين ان يبدوا فى هذه الساعة وفى هذا البهاء .

فقالت جازية فى صوت خفيض كأنما كانت توجه سؤالها الى نفسها :

ـ ترى هل هناك اناس يعيشون مثلنا على سطح هذا الكوكب ؟

قلت :

ـ اناس مثلنا لن تجديهم الا على ارضنا هذه . كل هذه النجوم التي يبهرك لمعانها كتل نارية لا يطيق الحي الاقامة فيها جزءا من لحظة خاطفة من الزمن . اما السيارات فما هي الا حجارة مظلمة تقتبس بهاءها ، مثل ارضنا ، من نور الشمس ولكنها اما قريبة منها بحيث تشوى بنارها او بعيدة عنها بحيث تجمد بردا . لا حياة الا حياتنا نحن ياجازية .

فاستدارت جازية بكرسيها وقالت كالمحتجة:

ـ ارجوك يا استاذ ان تسكت .. انك لا تدرك كم هو قاس ومحزن ما تقوله : انني لا احب ان اصدق ما تقوله وافضل عليه ما كانت تقوله لي امي عن النجوم حين كنت طفلة صغيرة ...

قلت كالمتهكم :

ـ وماذا كانت تقول امك ؟

فعادت جازية تتطلع الى السماء وهي مولية اياي ظهرها بصوتها الخفيض :

ـ النجوم ؟ انها نفوس الناس مغروسة فى صفحة السماء ، لكل انسان نجمه الذي يظل منيرا ما ظل على قيد الحياة فاذا مات هوى النجم وانطفأ . حين يسخر نجم فيشق سواد الليل بشهاب من نور لا يلبث ان يتلاشى فى الظلام فان ذلك يعني ان انسانا عظيما او سعيدا او محبوبا قد مات فانطفأ نجمه . هذا ما كانت تقوله لي امي وانا طفلة ، اليس اجمل مما تقوله لي انت يا استاذ ؟

وسكتت جازية برهة كأنها كانت تنتظر

جوابي . اما انا فقد ابتسمت ابتسامة لم تكن تتبينها للظلام الذي كان يلفها ولانها كانت توليني ظهرها في تطلعها الى نجوم السماء . فتابعت حديثها بصوت علت طبقته قليلا عما قبل . قالت :

ـ لكل انسان على الارض نجمه في السماء. لو خيرت لنفسي هذا الكوكب الرائع الذي يقع الى يسار الثريا . تأمل ما اجمله ... تأمل كيف يخفق ضوءه ... يبدو لي ان ضوءه يمتد كالسنة تحاول الانطلاق ثم لا تلبث ان ترتد اليه ... انها مثل بعض افكاري ، مثل بعض نزواتي ، تحاول ان تتحرر مني وتنطلق عني ثم لا تلبث ان ترتد الي مقسورة ...

وقطعت جازية حديثها بضحكة قصيرة مفتعلة كأنها فطنت الى انها قالت عن نفسها اشياء لا تقال ، ثم لم تلبث ان تابعت كلامها حين وجدتني باقيا على اصغائي اليها ، فقالت :

ـ لو خيرت لاخترت لنفسي هذا النجم .. من يدري ، لعله نجمي يا استاذ ! فهو يلمع ما دمت حية فاذا مت .. اذا مت ، هل ينطفىء ويخمد نوره ، خسارة .:. اني افضل ان يظل متلألئا في ظلام الليل ... وربما زاد تلألؤه حين تصعد روحي اليه ... ما لك لا تقو لشيئا يا استاذ وانت تراني اهذي هكذا؟ انت في ترارة نفسك تضحك من اقوالي ، اليس كذلك ؟

قالت جازية جملتها الاخيرة بنفس اللهجة التي كانت تتحدث بها عن النجم ودون ان تلتفت بوجهها الي فربت بيدي على كتفها وانا اقول :

ـ لا يا جازية ، انا لا اضحك من اقوالك بل اغبطك عليها . ان ما تقولينه عن النجوم اجمل حقا واجمل كثيرا مما قلته انا . ولكم اتمنى ان تكون لي نفسك الشاعرية ... ولكن يا جازية لا تنسي اني مدرس علوم وان الارض كما قال غاليله ذات يوم ، رغم كل ما يتصور الشعراء ويتخيلون ، تدور !

قلت هذا وعدت الى البهو فادرت زر النور فيه فأضاءت منه الشرفة واضاء مجلس جازية منها حينئذ عدت الى تلميذتي واخذت يدها مؤذنا بالانصراف .

بعد تلك الامسية عادت جازية الى حديث الكوكب الرائع مرة او مرتين بأن تشير اليه في صفحة السماء ونحن على الشرفة المظلمة . ثم ابعدتنا الامسيات الباردة عن الشرفة المكشوفة وعن البهو الواسع الى الغرف الضيقة الدافئة القي فيها الدروس على تلميذتي الذكية الدؤوبة . وانقضى الخريف يتلوه الشتاء ثم الربيع . وفي الربيع اخذت الامسيات التي كنت القى فيها جازية تتباعد لان عملي كان يقلل من وقت فراغي ولان نوبات نزيف المعدة اخذت تعاود جازية في اوقات متقاربة فتقعدها عن تلقي الدروس .كنت ازورها اثناء ذلك، لامدرسا بل عائدا ، فيتطرق بنا الحديث احيانا الى مواضيع جدلنا الدائم حيث نقف على طرفي نقيض . هي ترى الحياة بعين الفتاة الحالمة اذ تتصور في كل كائن ولو كان ذرة رمل او قطرة ماء روحا وحياة وعاطفة ، وانا كمدرس علوم ذي عقل موضوعي ابصرها بأن اصل الكائنات ذرات جامدة لا تعقل ولا تعي ولا تحس وان الروح والحياة والعواطف كلها ليست الا تفاعلات تتبع قوانين مضبوطة ، بعضها معروف وبعضها في السبيل الى ان يكون معروفا ، للمادة الباردة الميتة . وكان جدلنا في هذا لا ينتهي ، الا ان احلام جازية حول الكائنات كانت تأخذ شكلا شعريا متفائلا حين كانت في تمام صحتها فكان علي ان اخفف من غلواء تفاؤلها ومن اندفاعها في ان ترى الخير والجمال في كل كائن . اما الان وهي في فراش مرضها فان احلامها اخذت تتشكل باشكال تصوفية ، بل سوداوية ، اذ يتمثل لها الموت واشباح الراحلين وطيوف العالم الاخر في ما كانت تتمثل لها فيه بهجة الحياة وجمال الوجود . فكان علي ان اخفف من غلوائها في هذا كذلك وان ابصرها بان حواسنا الجسدية هي اصدق لنا في اداء الوقائع من توهمات خيالنا . وكان تشاؤم جازية يأخذ احيانا شكلا مفزعا اذ لا يبدو مجرد رأي عابر بل كأنه عقيدة راسخة تعتقدها ، وكنت مع ذلك اعذرها وانا متألم لهذه السوداوية التي تنتابها اذ ترى نفسها وهي على ما هي عليه من ذكاء ورغبة في التعلم مقسورة على ان تلازم سرير المرض بينما فاتتها رفيقاتها في السنين الماضية كما ان رفيقاتها لهذه السنة جديرات بأن يفتنها كذلك اذا لم تتقدم هي الى فحص البكالوريا في موعده المحدد . لذا فقد كنت فرحا حين استطاعت رغم مرضها وانقطاعها الايام الطويلة عن الدرس ان تتقدم الى الفحص وتنجح فكنت سعيدا بنجاحها اكثر مني بنجاح كل تلاميذي الاخر كما عدني اهلها وعدتني جازية نفسها صاحب فضل كبير في هذا النجاح كمدرس ومرشد وصديق . ولهذا فقد كنت ضيف شرف حفلة الغداء العائلية التي اقيمت في منزل صديقي ابي جازية قبل ان اغادر المدينة عائدا الى دمشق في مطلع العطلة الصيفية .

بعد ان تناولنا الغداء يومذاك خرجنا الى الشرفة نتأمل في حر النهار القائظ البحر الذي كانت تمخر فيه سفن قليلة بعيدة ترى من حيث كنا خطوطا ناتئة فوق سطح الماء المنبسط. وجاءت جازية تحمل فنجان قهوة قدمته الي وهي تقول :

ـ لو كان الوقت مساء لبحثنا عن ذاك النجم الذي كنا نراه في امسيات العام الفائت . هل تذكره يا استاذ ؟

قلت :

ـ الكوكب اللامع الى جانب الثريا ... بالطبع اذكره . ولكن ليس هذا اوان ظهوره على كل حال فنحن لا نزال في اوائل الصيف. حين ترينه في الخريف المقبل فاذكري استاذك..

قالت متسائلة :

ـ ماذا ؟ الن تعود الى التدريس هنا في العام القادم ؟

قلت :

ـ اذا وجدت مكانا شاغرا في احدى مدارس دمشق فلن احضر طبعا . وانت ، هل تتوقعين ان تكوني في الخريف القادم هنا ، الست تنوين الانتساب الى الجامعة في دمشق ؟

فقالت بكآبة وبدون حماس :

ـ هذا صحيح ... على ان تساعدني صحتي على ذلك .

قلت لها مشجعا :

ـ صحتك على احسن ما يرام ، وها انت اليوم قد التهمت من الطعام ضعف ما اكلت انا . قلت لك دوما ان النفس ليست الا تظاهرات الجسد ، وان تشاؤمك ليس الا انعكاس مرض اعضاء جسمك ... اما وقد شفي جسمك فيجدر بك ان تتركي هذا التشاؤم وتضحكي للحياة . اليس كذلك ؟ ستنتسبين الى الجامعة وسنلتقي في دمشق في الخريف القادم ، وهناك سنبحث معا عن ذلك النجيم المضيء بالقرب من الثريا ..

فابتسمت جازية ابتسامة خفيفة وقالت :

ـ الى ان يحين الخريف القادم هل تسمح لي بمكاتبتك ؟

فهززت اصبعي امام عينيها مداعبا وانا اقول :

ـ تكاتبيني ؟ هل استأذنت والدك بذلك ؟

قالت ضاحكة :

ـ لست في حاجة الى استئذانه فهو يثق بي . ولكن لماذا استأذنه ؟ هل تعتبر نفسك شابا تثير الشبهات مكاتبته ؟ ! ما دمت استاذا فانت رجل متقدم في السن ، بل انت شيخ شائب بالرغم من شعر رأسك الاسود هذا . لا تنس انك صديق ابي الحميم وزميله ...

قلت وانا اضع الفنجان الفارغ في الصينية بين يديها :

ـ لم انس ، ويسرني جدا ان تكتبي الي . اكتبي كلما ضاق صدرك وكلما استرعى نظرك في السماء نجم لامع ولم تعرفي اسمه..

وودعتها في ذلك اليوم ثم سافرت في اليوم التالي .

وفي ذلك الصيف كتبت الي جازية . تلقيت منها ثلاث رسائل مؤسفة اثنتان منها كتبتهما من فراش المرض والثالثة كتبتها قبل ان تفارق هذه الحياة بيوم واحد . وكانت لهجتها المتشائمة في رسالتيها الاوليتين تدل على ان الروح الشاعرية قد فارقتها وانها

استسلمت الى السوداوية والى رؤى الموت والفناء ، وذلك يعني انها مريضة جدا وان نزيف المعدة قد عاودها بفترات متقاربة وبشدة . وكانت حين بعثت الي بهاتين الرسالتين تقضي ايامها في ضيعة لابن عم ابيها في الجبل هاربة من حر الساحل المنهك في الصيف فمضت تصف لي فيهما حياة الصيف الهادئة متذمرة من رتابة الايام وظلام الليالي والوحشة الى الاصدقاء والضيق بالمعارف الجدد وتتحدث فيهما عن النجوم شاكية من انها لم تجد في ليالي الصيف كوكبها المعهود فما كانت رؤية آلاف الكواكب العديدة التي تزين سماء الصيف الا لتزيدها شعورا بالاسى والوحدة : كل انسان على الارض له نجمه في السماء وهي وحدها لا نجم لها ! فكأنها جسد حائر اضاع روحه بين الالاف الاجساد التي تحمل ارواحها ... اليست روحها في ذلك الكوكب الفريد الذي لم يشرق بعد ولا تدري هي في اي فلك يدور ؟!... والى جانب تذمر جازية وشكواها في رسالتيها الاولتين كتبت الي تدعوني الى ان ازورها في ضيعة ابن عمها وان انزل ضيفا على اهلها . والحق انني لو كنت املك من وقتي وظروفي ما يمكنني من اجابة دعوة جازية هذه لفعلت ، فقد كانت لمحات التشاؤم في طيات رسالتيها من القوة بحيث اقلقتني عليها قلقا شديدا وانا العارف برهافة حسها ورقة مشاعرها . الا ان رسالة جازية الثالثة اهابت بي الى ان اتجاهل موجبات الوقت والظروف وان اتهيأ للسفر الى البلدة التي غادرتها في مطلع الصيف . ولكن تهيؤي كان عبثا لا جدوى فيه ... ففي ثاني يوم تلقيت فيه رسالة جازية الاخيرة بلغني نعيها ...

رسالة جازية الاخيرة ، هذه هي :

استاذي

تقول لي انك تحب من كل قلبك ان تستجيب لدعوتي وان تزورنا في هذا الصيف ! لا اصدق هذا ، واذا صدقته فاني لا اظنه سيحدث . عفوا ، انا لا اتهمك ولكنه الموت يا استاذي العزيز يدعوني ، انه ينتظرني ، فهل تستطيع ان تسبقه الي ؟

امس نزفت دما كثيرا ، اسود مثل طحل القهوة واحمر مثل دم الذبيحة ... انها نفسي قئتها امس من فمي . نزفت هذا الدم في منتصف الليل ، اما في المساء قبل ثورة النزيف فقد رأيت شيئا ... هل تدري ماذا رأيت ؟ رأيت نجمي اللامع ، الكوكب الذي تعرفه بالقرب من الثريا واسطع من كل نجوم السماء نورا . رأيته يتطلع الي ، يمد الي السنته النورانية فتكاد تمس اهداب عيني ... كأنه كان يدعوني . رأيته بعد الغروب وقبيل الدم في منتصف الليل ، الا تظنها دعوة ؟...

قال لي طبيب الضيعة انه ، اذا عاودني النزيف فسيكون مضطرا الى ارسالي الى المستشفى في المدينة ، وقد يضطرنا الامر الى جراحة . كل هذا لا يهم . المهم هل تستطيع ان تبدل قليلا لتراني ، قبل ان اموت ، لنقف معا في الشرفة ؟ اذا لم تكن الشرفة شرفة البيت فشرفة المستشفى فاني اشتهي ان اريك الكوكب الرائع الذي يدور في السماء باسمي ... انه في هذا العام اسطع بكثير منه في العام الفائت . هل تأتي ؟

اذا لم تستطع المجيء يا استاذي فاني اعذرك ، لا اريد ان احملك ما لا تطيقه ... وداعا .

جازية

في كل مساء من امساء هذه الايام بعد ان تقفر المدرسة من تلامذتها ومن زملائي المعلمين وبعد ان اكون ختمت عمل اليوم وفرغت من تهيئة عمل الغد اعود الى المدينة في الشارع الطويل المهجور فينجذب بصري بنور هذا الكوكب البراق امام الثريا وقليلا الى يسارها اسطع في بريقه من الدبران والشعرى ومن نجوم الميزان ، نجوم نطاق الجوزاء الثلاثة ان لبريق هذا الكوكب حركة وحياة وانه ليكاد ان ينطق . لطول تحديقي به اري اشعته تتطاول وتتطاول حتى لتكاد ان تمس اهداب عيني فينتابني شعور مفاجىء اكاد اجفل منه ... ان لهذه الاشعة مساكمس انامل جازية على ظاهرة كفي ، اليس هذا نجم جازية ؟ ... لقد حدثني ابوها انهم وجدوها في الليلة السابقة ليلة وفاتها قد هجرت الفراش هائمة في سفح الجبل تتسلق صخوره فلما سئلت اجابت في لهجة بين السخرية والهذيان انها كانت تركض الى نجمها الذي لها في السماء ، نجمها البهي موقعه امام الثريا . في تلك الليلة التي اجهدها فيها الركض ومسها فيها البرد اصابها النزيف الشديد الذي قضى عليها . اذن فهذا هو النجم الذي ماتت جازية في ركضها اليه او الذي ماتت لتنتقل اليه .

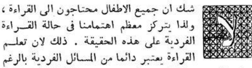
لقد انكرت انا عليها ان تعتقد اعتقادات العامة ان لكل حي نجمه في صفحة السماء ، فما الذي يعطيني عليها حق الانكار ؟ أهو العلم ؟ انا ادري مبلغ قصور العلم عن ادراك حقائق الوجود . كبار البحاث المسلحين بمناظرهم ومجاهر عدساتهم والالتهم الالكترونية عاجزون عن ادراك كنه خلية حيوان تحت ابصارهم وفي متناول ايديهم ، فأية حقيقة مطلقة يمكن للانسان ان يدركها عن هذه الاكوان التي تفصلها عنه الاف بل ملايين السنين الضوئية ، اعني النجوم ؟ ليس علم العلماء الا نظريات ، واعتقادات العامة ان هي الا تصورات واحداس ، اعني نظريات من نوع اخر . فما ادراني ان ما كانت تعتقد به جازية ليس هو الحق او وجها من وجوه الحق ؟ ما ادراني اذا لم يكن حقا ان هذا هو نجمها الذي لم ينطفىء بانطفاء حياتها بل زاد ، كما اشتهت هي ذات يوم ، زاد التماعا على التماع حين حلت فيه روحها بعد عمرها القصير على سطح هذه الارض في الالم والمرض والضنى ؟!...

في كل مساء في عودتي من المدرسة الى داري في البلدة الصغيرة تراودني هذه الذكريات والافكار عن تلك المدينة الساحلية وعن هذا الكوكب اللامع وعن جازية . وكثيرا ما افطن الى نفسي حين اصل بخواطري الى هذه الغاية فاجدني واقفا جامدا في عرض الطريق المظلمة المهجورة وحيدا مرفوع الرأس الى زاوية السماء التي يلمع فيها النجم البراق ، نجم جازية ، واني لطول التحديق فيه قد انبهر بصري حتى لم اعد استطيع التمييز في الظلمة . حينئذ انتبه الى نفسي فاخفض رأسي واغمض اجفاني على عيني حتى يغادرهما البهر وامضي في الشارع الطويل المقفر وحيدا الى المدينة ...

الرقة — عبد السلام العجيلي

القراءة الفرديـــــة

مترجمة عن الانجليزيــة



شك ان جميع الاطفال محتاجون الى القراءة ، ولذا يتركز معظم اهتمامنا فى حالة القـراءة الفردية على هذه الحقيقة . ذلك لان تعلـم القراءة يعتبر دائما من المسائل الفردية بالرغم مما تتخذه من خطوات وما تتسم به من انظمة تلازم طرقا متنوعة لتعلم القراءة

وفى خضم محاولاتنا العديدة لتوحيد الانظمة وطبعهـا بطابع رسمي معين ، وجدنا فى جميع الحالات استجابـة الاطفال للقراءة ، كل على طريقته الخاصة . كما تكشـف لنا فى كثير من الاطفال تباطؤا ملحوظا في الاقبال على القراءة، اذ قد يقرأون فى ضجر وغير تصور او نقد لما يقرأون حتى انك تكاد لا تصدق انهم حقيقة يقرأون

وان المهارة فى القراءة لتنطوي على المهـارة فى فهـم الاشارات والمترادفات التي قد تساعد القارىء على فهـم ما يشابهها . هذا فضلا عن ان استطراد القارىء فى قراءة الكلمات المطبوعة لا بد وان تحدوه الرغبة فى فهم ما يقـرأ والتزود من المعرفة ليثقف عقله بما يزوده به المؤلف من معلومات .

ومع ان المرادفات لمعاني بعض الكلمات قد حددت بعناية علمية فائقة ورتبت بحيث تسهل للقارىء الاستفادة بها ، فان القراء انفسهم يحاولون من جانبهم الاستعانة اولا بما لديهم من معلومات وتجارب سابقـة عن هذا الموضوع او ذاك ، ومن ثم يحاولون القاء ظل على كل ما استعصى عليهم من كلمات مما يظنون انهم بهذا قد وفقوا الى المعنى المطلوب

وان اطلاق عبارة القراءة الفردية ما هو الا مجـرد اصطلاح ، كثيرا ما يستخدم لوصف مختلف انواع القراءات وبرامجها حيث تكون فيها طبيعة الافراد الذين يقرأون على سجيتها ، اذ ينصرف الفرد بكليته الى ما فى الكتاب الذي بيده

كما ان عبارة القراءة الفردية قد تكون كذلك اصطـلاح يطلق للتعبير عن المحاولات الفردية فى تعلم القراءة خـلال السنوات الماضية حيث دأب المشرفون على التعليم علـى استخدامها فى كثير من المدارس وخاصة من يهمهم دراسة مدى اقبال التلاميذ على القراءة من المدرسين

فمن المسلم به ان المدارس اماكن اعدت لتعليم التلاميـذ بوجه عام ولكن واجب المدرسين يقتضيهم الاهتمام بتشجيع التلاميذ على القراءة الفردية وغرس تلك العادة فى نفوسهم وذلك بدراسة انجع السبل لتشجيعهم على ذلك . والقراءة الفردية معناها فى بساطة تشجيع الافراد على الاقبال على القراءة بمحض رغبتهم ، وذلك باعداد الكتاب المناسـب ، واختيار الوقت المناسب ، وتوفير المعدات اللازمة ، حتـى يتهيأ للفرد الجو الصالح للقراءة ويشعر انه قد تحرر مـن جميع القيود ، وسرعان ما يقبل على ما يقرأ في امعـان وروية وتفهم لمادة الكتاب ، حتى يستسيغ القراءة الى حد ممارستها كنوع من الالعاب السلية المحببة الى نفسه .

وان اعـداد برنامـج للقراءة ليتطلب كثـيرا من العناية كـي يفيد منه الصغار اينما كانوا وفى ذلك خـير دافـع لهم في متابعة اقبالهم على كتـب اخرى فى ثقة واعتداد .

وعلينا ان نعمل من جانبنا كمربين على توفير جميـع الامكانيات لاطفالنا اذا اردنا ان نفيدهم حقا ونمد لهـم يد المساعدة كي نعد جيلا من الاطفال يؤمن بضرورة مساعـدة الغير اينما كان ونغرس فى نفوسهم هذه الصفة المجيدة منذ نعومة اظفارهم .

وان توفير تلك الامكانيات ليتطلب امدادات متواصلـة من احدث الكتب المنتقاة خصيصا لقراءة الاطفال ، سـواء فرادى او جماعات ، كي نتيح لهم قراءة مريحة فى فهـم وتصور لحقيقة ما يريده المؤلف لهم في كتابه وشعـور باطمئنان نفس ، فى غير ازعاج او تكلف وبذا يشعرون بميل فى انفسهم يحدوهم الى تصحيح اخطائهم ووجهة نظرهـم الى العالم الخارجي ونظرتهم الى الحياة

وليس المقصود من كل ما سبق ان تعلم الاطفال للقراءة لا يأتي فقط الا عن طريق استخدام الكتب ، بل ان مـا يصادفهم في حياتهم اليومية وتجاربهم التي يمرون بها من كتابة مذكرات اوخطابات، او تسجيل لبعض اوجه النشاط المدرسي ، فرادى او جماعات او الوقوف على نتائج بعض التجارب العلمية او اقتباسهم من بعض برامج الاذاعة او اخذ مقتطفات من بعض الصحف او المجلات او ما ينشر فيها من مقالات ، وما يلقى عليهم من محاضرات ، او مساهمتهم فى انشاء نوادي للمراسلات ، او انشاء جريدة للفصل او رسم بعض الخرائط او الاشتراك فى كتابة بعض القصص ، او كتابة نبذ عن الاخبار كل هذه لها اثرها الواضح فى تثقيف التلاميذ وتوسيع مداركهم ولذا كان لا بد وان نحظى بالكثير من عناية المربين على اختلاف طرقها وتنوعها حتى تحقـق رسالتها على الوجه الاكمل

كما اننا نؤكد كذلك ضرورة حسن الاختيار فى كل مـا سبق وتوخي الدقة تماما كما نفعل بالكتب ، لان التلميـذ اذا توفرت له حرية الانتقاء اتيحت له الفرصة لسرعة الفهم وبدأ بدوره المحاولة فى الاستفادة من تجاربه سواء من الكتاب او من اوجه اخرى فى حياته العملية .

من هذا يتضح لنا اننا يحسن بنا ان نترك الصغار يختارون بانفسهم ما يحلو لهم من كتب او ما يشابهها من صحـف ومجلات للانتفاع بها في تثقيف عقولهم ، وان هي الا البداية لا النهاية ، لان توثيق الصلة بين التلميذ واستاذه يصبـح حجر الزاوية نحو تعلم افضل عن طريق انتقاء المـادة المناسبة والمناقشة فى اوجه صلاحيتها وارشاد الاستـاذ لتلميذه الى الطريق السوي وبذا تزال الحواجز التي تعترض طريق التلميذ واستاذه مما يجعل الطفل يقبل على التعلم فى غير كلفة ، وطوبى لمن تعلم العلم وعلمه .

حمـــــص **احمد مصطفـى**

عنترة وعبلة

وتمادى حلم الجزيرة بالابطال فالامس بالكماة امتلأ
يحلم الشيخ بالشباب المولي   وبأيام حسنها الحسناء
ذكرت عنترا فهلت على الليل « التهامي » نجمة زهراء
غار منه الابنوس لونا وقدا   فهو والدوح فى المرود سواء
الليلي الاهاب ، سبط التراقي   احمش الساق ، سلهب عداء
أسود الجلد ، ابيض الخلق شهم   عذب الماء واكفهر الاناء
ليس عف الازار والكف عبدا   انما العبد نفسه السوداء
وسواد العيون انفس ما فيها ، وعمياء مقلة بيضاء
أطلعتك النجود فارس عبس   فزها شيحها وطاب الكباء
فمن العزم للرعان انتساب   ومن الخلق للعرار انتماء
أي شر اثاره ابن « زهير »   وابن « بدر » فاهتزت الصحراء
بعث الحرب « داحس » فاستطارت   وأمدت بالعثير الغبراء
أمطرت نارها نجيعا ودمعا   ومن الحافرين ذر البلاء
وبنو « العبس » جمرة العرب لولا   عنتر لاعترى سناها انطفاء
اذ ينادون ويك عنتر اقدم   وعزيز على النجيد النداء
المروآت في دماه استجابت   واستشاط الفؤاد والاحناء
وتنزت اوداجه والجفون الحمر اجت فدونها الرمضاء
فرمى فى العجاج مهرا قتاما   كان ليلا فحمرته الدماء
قنفذا عاد من وقوع السهام الزرق غصت بسيلها الاعضاء
كاد يبكي من الجراحات لولا   أن فى سرجه استقر الرجاء
فتعجب لأدهمين أطلت   منهما في المعامع الاضواء
قد يذر الضياء من جنح ليل   ومن الخير قد يطل الشقاء
لم يروع « أبا الفوارس » جيش   كلما ازداد زاد منه المضاء
خلفه طرف عبلة ولماها   فالمنايا لسيفه اغراء

ذكرت عبلة فاوداء نجد   ورباها وريحها اشذاء
تهبط الشمس تستحم بعينيها ، فيحلو الضحى ويزكى الخباء
من فتيت الرحان صيفت كعاب   غضة سمهرية أدماء
ومن الصندل الرطيب وفوح الندوالرند ، صبت الهيفاء
باسمها تركد الهواجر ، والصحراء تندى ، ويستطاب الهواء
فتشامخ يا مالك بن قراد   واطلب المهر ما يشاء الغلاء
لا تساوي النوق العصافير والنعمان والقصر والربى الغناء
نظرة من عبيلة ، لابن شداد ، مواعيدها الهوى والوفاء
لا تساوي من شعر عنتر بيتا   جلجلت فيه رنة عذراء
كفة المال في الموازين شالت   وتسامى النهي وجل البهاء

بولس سلامه

الشاعر نعمه الحاج

بقلم عيسى الناعوري

بدات صلتي بنعمه الحاج عام ١٩٤٩ ، وكانت اول رسالة تلقيتها منه تحمل تاريخ ٢٢ تموز من تلك السنة . ومن تلك الرسالة عرفت ان نعمة الحاج قد ولد في غرز بلبنان في شهر آب عام ١٨٨٩ ، وهاجر الى اميركا عام ١٩٠٤ ، وهو بعدفي الخامسة عشرة من عمره ، فلم يتح له ان يتلقى من العلم اكثر مما تلقاه في مدرسة القرية ، التي لم يلبث ان غادرها وهو ابن اربعة عشر عاما .

وفي اميركا استطاع نعمه ان يتصل بحلقات الادباء المهاجرين ، فكانت اجتماعاته بهم مدرسة له ، وقد تأثر بهم واستفاد منهم كثيرا . وكان قوي الصلة بأدباء الرابطة القلمية جميعهم .

وحينما وصل الاديب الفلسطيني خليل السكاكيني الى اميركا في اواخر عام ١٩٠٧ ، وبقي فيها نحو ثمانية اشهر ، اغتنم نعمة الحاج فرصة وجوده هناك ، فكان يتلقى على يده دروسا بالعربية ، يقول نعمه انها افادته كثيرا .

والذي يطالع مذكرات السكاكيني في كتابه(كذا انا يادنيا) يجد لنعمه الحاج ذكرا في مواضع منه ، ولا سيما في الصفحات ٢٠ الى ٣٤ التي يروي فيها حياته في اميركا . فمرة تجده يقول : (الخميس في ١٢ ــ ٣ ــ ١٩٠٨ جاء السيد نعمه الحاج فأعطيته درسا ، ثم جلسنا نتحدث في مواضيع مختلفة ...) ومرة يقول : (الخميس في ٢٦ ــ ٣ ــ ١٩٠٨ ــ بعد الظهر جاء السيد نعمة الحاج فأعطيته درسا ، وبعد الدرس خرجنا فمشينا قليلا في الهواء النقي ...) ومرة ثالثة يقول : (الاثنين في ٢٠ ــ ٧ ــ ١٩٠٨ ــ وردتني رسالة من السيد نعمه الحاج يدعوني معلمه ، ويدعو نفسه تلميذي . قال : « استفدت منك اكثر من كل المعلمين الذين علموني . وارى ان لك فضلا على تهذيبي مثلهم ان لم يكن اكثر . واذا كنت قد اسفت لمجيئك الى هذه البلاد ، وضياع اتعابك فيها ، فأرجو أن تتعزى بأني اقدر فضلك قدره » ، فسررت واغتبطت ...)

وكان من نتيجة دروس السكاكيني ، وحلقات ادباء المهجر ، والمطالعة الشخصية المستمرة ، ان تفتحت الموهبة الشعرية في نفس نعمه الحاج ، فأخذ ينظم الشعر ، وكان يعرضه في البداية على من حوله من الادباء والشعراءلتنبيهه الى مواطن الخطأ في شعره ولغته .

وفي عام ١٩٢١ طبع ديوانه الاول في مطبعة جريدة (الهدى) لصاحبها سلوم مكرزل ، في نيويورك ، ودعاه (ديوان نعمة الحاج ــ الجزء الاول) ، وكتب ايليا ابو ماضي مقدمة الديوان ، فتحدث فيها عن الادوا رالتي يمر بها الشاعر . ثم ختمه بقوله :

أكتب هذه الكلمة تمهيدا لهذا الديوان ، الذي تسرح النفس فيه بين معان كالكواكب المشرقة ، والفاظ كدموع الفجر المترقرقة ، فقد صاغه صديقي نعمة الحاج فأحسن الصياغة ، ووفق وهو في محيط غريب الى الجمع بين ضروب المعاني البديعة ، والاوزان الموسيقية المرقصة ،فكان في تقليده مبتكرا ، وفي ابتكاره مبدعا .

لقد سمع الناس من قبل بالشاعر المتفنن نعمة الحاج ، اما اليوم وديوانه يوشك ان تتداوله الايدي ، فانهم سيشهدون آيته ، وانها كما يرون من الآيات الخالدة .

ومنذ ذلك العام الى اليوم لم يطبع نعمة الحاج شيئا آخر من شعره في كتاب ، بل كان يبعث بالجديد من قصائده الى الصحف ، وقد ذكر لي في رسالته الاولى انه كان يفكر في زيارة الوطن ، ولعله يتمكن فيه من طبع شيء من شعره الجديد في ديوان آخر . وقد تكررت لديه هذه النية عام ١٩٥٦ ، وكتب الي بذلك ، غير ان امنيته هذه لم تتحقق بعد ، وعسى الا تبخل عليه الايام بتحقيقها في وقت قريب .

لقد عمل نعمة الحاج في التجارة متجولا مدة طويلة مابين نيويورك ، وتكساس في جنوب الولايات المتحدة . ولكنه في عام ١٩٥٣ آثر الاستقرار،فأنشأ حانوتا للسمانة فيكارولينا الشمالية . وفي هذا يقول في رسالة بعث بها الي في ٢٠ فبراير عام ١٩٥٣ :

انا لا اكاد اجد وقتا حتى للاكل في هذا الشغل ، فقد عدت الى تجارة السمانة ، لا طمعا بالربح المادي ، بل رغبة في الاستقرار في مكان ما ، بعد ان تعبت من التجول والركض على الطريق ، من نيويورك لحد تكساس في الجنوب ،وكدت انفق كل ما معي

وبعد أن غادر المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي مصر الى نيويورك ، تأسست هناك رابطة ادبية ، دعيت (رابطة مينرفا) وانتخب نعمة الحاج رئيسا لها ، والدكتور ابو شادي امين سرها . ولست ادري الان شيئا عن مصير هذه الرابطة بعد وفاة ابي شادي ، الذي كان لولب الحركة فيها . وكانت هذه الرابطة تضم عددا من رجال الفكر هناك، من العرب والاميركيين .

بعد هذا التعريف بالشاعر نعمه الحاج وحياته ، ننتقل الى النظر في شعره ، سواء منه المطبوع في ديوانه ، والمنشور في الصحف بعد صدور الديوان . ولدينا من هذا الشعر الجديد قصائد متفرقة ، كان ينشرها الشاعر في (السائح ــ والسمير ــ والبيان) من صحف المهجر .

وليس من شك في ان هناك فرقا في المستوى الشعري

والفكري بين شعر الديوان وما جاء بعده . ففي الديوان قصائد عديدة من شعر الشباب الاول ، حين لم تكن قد اكتملت لدى الشاعر موهبته ، ولا بلغ من الاختبار والنضج الفكري مداه .

يقول الدكتور ابو شادي فى مقال له عن نعمة الحاج ، اذاعه من صوت اميركا :

ان نعمة الحاج من اولئك الشعراء القلائل الذين يجتمع فنهم وشخصيتهم فى شعرهم . وأصالة شخصية ناصعةفى تعابيره ، لان شعره ترجمة حياته بالاسلوب الفني الـذي يتذوقه . وهو اسلوب رومانسي حينا ، واتباعي حيناآخر، ولكنه ليس محاكاة متعمدة لاحد .

ويقول في مكان آخر من ذلك المقال :

لا ريب ان الجزء الاول من هذا الديوان القيم هو نعمة الحاج فى شبابه ، مصورا افراحه واتراحه وكفاحه ، ولو ان هذا الكفاح ما يزال متواصلا ، فليس فيه ذرة من التصنع ، ولا من ملامح الشخصية المزدوجة .وفى ميزان الانتقاد يمثل هذا الديوان ايضا عصر الشاعر وبيئته الاولى ... ويمثل تفاعله معها ومع الوسط الاميركي الحر .

والحقيقة ان الذي يقرا شعر نعمة الحاج يجد صفتـه (الهدوء) هي الصفة التي يصطبغ بها ، سواء منه ما نشر فى الديوان ، وما نشر فى الصحف بعده . فليس هنـاك افتعال ، ولا جعجعة ، ولا فوران ، ولا اهتمام بالاصباغ والالوان والتزاويق الفنيـة . فالصياغة هادئة سهلة ، والافكار والصور تتوالى بهدوء ناعم . وقليلة جدا هي القصائد التي تنوعت فيها الاوزان والقوافي لدى الشاعر ، وما كان منها منوع القوافي والاوزان فانما يجري مجرى الموشحات الاندلسية ، فهو اوصاف للطبيعة ، ولتساقي كؤوس الشراب ، والحنين ، والحب ، والقليل القليل منه للتأمل الروحي فى الحياة والكون .

أما اغلب شعر الحاج فهو من الطراز التقليدي ، وزنا وقافية وعبارة . والتقليدية ليست عيبا فى الادب والشعر، ما دام الشاعر والكاتب يستطيعان التعبير بها عما يحسانه ويتأثران به من مشاعر ومشاهد . والعيب هو ان يقـع الكاتب والشاعر على المعاني التافهة ، والتعابير المبتذلة .

واليك ابياتا من قصيدة له بعنوان (شطح الزمان) ، وهي من الشعر الوضعي والتأملي، اوحى بها الى الشاعر المشيب والحياة التي لا تقف عن الدوران ، منذرة بقرب النهاية :

اين الربيع من الخريف ؟ ... ذهب التليد مع الطريف
شطح الزمان فلا رجاء ... بالرجوع او الوقوف
سارت ركائبه بنا ... والسير ينذر بالحتوف
تطوي الخصيب الى الجديب ... على حداء كالمزيف
بلغت الى حيث العيون ... ترى ذرى الطود المنيف
متعمما بضبابه ... يغشاه كاللبد الكثيف
يا للمشيب وقد سطا ... سطو القوي على الضعيف
علم الشتاء تلوح فيه ... طلائع الحدث المخيف
ايـن الشباب ، واين ذاك ... العزم كالحد الرهيف

حالت الى اللين الصلابة ... والغضارة للنشوف
والقلب زايله الخفوق ... الى رعاش كالوجيف
كنت العزيز من الرفاق ... نصرت منهم فى الطيوف
سبقوا صفوفا بالرحيل ... وسوف نلحق بالصفوف
والغانيات اذا نظرن ... فنظرة الطرف العزوف
ذكرى اللهيف على الشباب ... اشد من وقع السيوف
دنيا ترحب بالضيوف ... لكي تروغ من الضيوف

واذ يجيل الشاعر طرفه فى الحياة يجد فيها الشرمتغلبا على الخير ، ويجد المطامع هي التي تتحكم بالبشريـة . فيرسل لذلك زفرة اليمة من ظلم الناس ولؤمهم وغلبة الشر فيهم :

لماذا ينال الاثيم الهناء ... ويشقى البريء ولم يأثم ؟
ويحظى الجهول بشهد الحياة ... وذو العقل والفضل بالعلقم
وكم جاهد خاب فى سعيه ... وكم قاعد فاز بالمغنم
أياكل ذو خدعة جصرما ... ويضرس ذو الصدق بالحصرم ؟
واين العدالة فى عالم ... سرى الشر فى جوه الاقتم ؟

ثم يتطرق الى التمثل بقضية فلسطين التي نأى فيها الاقوياء المتحكمون عن كل معنى من معاني العدالة ، فيقول:

أنانية تلك لا غيرة ... بها كل مغتصب يحتمي
فلسطين شاهدنا ، انها ... فريسة ذي نهم مجرم
علانية صلبت كالمسيح ... وبيعت كيوسف بالدرهم
فيا عجبا كيف دار الزمان ... وصال البغاث على القشعم !

وقد تمر بالشاعر لحظات من التشاؤم المر ، يبلغ فيهامن دنياه حد اليأس ، فنسمعه يهتف :

لو كان امري فى يدي ... لوددت ان لم اولد
لم الق غير النحس في ... امسي ، فماذا فى غدي ؟
لم يبق غير ثمالة ... في الكأس للقلب الصدي
فولادتي بدء الممات ... ويوم موتي مولدي

ولكنه فى لحظات الاشراق النفسي ، يهتف مناجيا امه بملء الحنان والحب والامل ، فيقول في قصيدته (ذكرى الام) :

ذكرتك اذ جاء الشتاء وقره ... سهام الى الاكباد يشققن اضلعا
نحنت الى الدفء القلوب،وشاقها ... تذكر حضن الام اذ طاب مضطجعا
فيا أم ، يا نبع الحياة ، فؤادها ... اذا جف نبع كان للحب منبعا
ويا أم ، يا ملجا الامان ، ولاؤها ... يرى القلب فيه في الملمات مفزعا
تزعزع اركان ، وتهوي شوامخ ... ولكنه فى القلب لن يتزعزعا

او يناجي (اوراق الخريف المتناثرة) متفائلا آملا ،فيقول:

وقولي لمن دأبه ان يرى ... من العيش جانبه الاسودا :
اذا نعب البوم فى روضة ... فكم بلبل فوقها غردا
وما العمر الا بما فيه من ... مفيد ، وليس بطول المدى

وفى بعض الاحيان تكاد تسمع صوت المتنبي فى شعر نعمة الحاج ، من حيث فخامة العبارة ، وقوة الجرس ، وعلو الهمة ،وبعد المراد . واليك من ذلك قصيدته (لعينيك) التي يقول فيها :

الكلمة

الكلمة الخضراء ذات الالف ينبوع عجيب
من صبها على القلوب
خمر القلوب ؟
من مسح البيداء والحلم الغبي
بصدرها المطيب ؟
من حاكها بكبريائنا النبي ؟

ما ضمها جفن خوابينا الحنون
ما زفها بيدرنا حلى سنين
جردها محجرنا من الرنين !
كانت لنا عكازة طينية .. شريانها ومض السراب
كانت لنا شيئا من اللاشىء نعليه قباب
كانت لنا اذرع وحل ، وابتسامات يباب !

يا كم صنعناها دمى تافهة .. يا كم صنعناها قيود
يا كم اظلتنا باوجه الجمود
فنحن قوم لا نحب ان نعرى الوجود !
نريد ان تخدعنا الارض ، نريد ان نطير
بلا حقيقة نريد ان نطير
والكلمة الخضراء لا نحبكها الا لارضاء الغرور ..

حلب — علي الزيبق

الام تعاني الهم والطرف ساهد ... وتنشد معوانا وليتك واجد
وتضرب في طو ل البلاد وعرضها ... كأنك قد سدت عليك الموارد
لعمرك كم هبت عليك زعازع ... تهد ، وكم شدث عليك شدائد
فكانت كامواج تهاجم جلمدا ... تشظت عليه وانثنت وهو صامد
اذا لم يكن لي من يميني مساعد ... فلا كان في جسمي يمين وساعد
وما المال همي في الحياة انما ... اطارد خيل المجد في ما اطارد
نحبي من العيش الكفاف، وان يزد ... فللغير منه حصة وفوائد

وما احسب بعد اننا فى حاجة الى اكثر من هذه الشواهد على شاعرية الحاج ، وانسانيته ، وما يفيضه فى شعره من صور نفسه النبيلة ، المحبة للخير والجمال والعدالة والحق . وعسى ان نرى ديوانه الثاني فى وقت غير بعيد ، وان نرى امنية الشاعر تتحقق ، فيعود ليرى الوطن الذي فارقه فتى غريرا ، وعاش بعيدا عنه بجسمه اربعة وخمسين عاما ، ولكن روحه لم تفارقه ، بل ظلت ترفرف فوق ربوعه بالحنين الحار اللهيف فى قصائد عديدة .

عمان — عيسى الناعوري

(تتمة المنشور فى صفحة ٢)

لتغييرها يصيبها بقدر من الجمود لا ينقذ المجتمع منه الا السماح لنقادها بحرية نقدها والدعوة الى تغييرها. ومغزى هذا اننا نطالب للفنان باكبر مقدار ممكن من تسامح مجتمعه وسعة صدره وتحمله .

احتجاجنا هذا يعتمد على الحقيقة التاريخية : ان المقاييس الاخلاقية ليست عناصر جامدة او ذوات خالدة لا يطرأ عليها تبديل ، بل هي اعتبارات تنبع من اوضاع المجتمع نفسه . ولكن هذه الاوضاع في تغير مستمر كما ذكرنا ، اذن ينبغي ان تساير تلك المقاييس هذا التغير .

ولكن هذه الحقيقة قد يصعب على الكثيرين من قرائنا التسليم بها ، اذا كانوا ممن يظنون ان طبيعة الفضيلة وطبيعة الرذيلة عامة خالدة ثابتة مستقرة لا تتغير بتغير زمان اومكان . فهؤلاء محتاجون الى قدر من الالمام بمحصول الدراسات الانثروبولوجية فى هذا الميدان ، كي يدركوا مدى اختلاف العرف الاخلاقي بين شتى البيئات والازمنة .

القاهرة — محمد النويهي

ذلـك الاخـر

ودعـــــي
قدرا يلهــو ، ودهرا لا يعي
وابسمـــي
وازرعي الخمر على قبري ، على مضطجعي
رب ميـت عاش فى الافئـــدة العمـر
وحي مات بين الاضلـــع
فأضحكي ملء شفاه لم تعطـر مخدعي
لـم تلـوث حلمـا
عاشـــه الماضي معي
وامسحي دمعـــك ، أخشى ان تراه أدمعي
ذلــــك الامس اتركيـه
تأكل الحسرة فيـه

لم اكـــن من كنت تهويـــن
لم اكن عاشقك الفذ الذي كنت ترنيـه
كـان ظلا لي اشقى ، ارشف اللوعة دونه
كان يستهزىء بالدنيـا ، وفى عينيه سر لا تعينه
اشرب الدمـــع ، ويستثقل دمعي
وانـا أحيـا جنونـــه

والمســاء
ان تراءى ظله فى الافق
فأنشري لـــي قلقـــي
واستعيدي فوق قبر ضيق
ذكرياتـــي
وسنـــيـــين
لم يكن يحيـا بهـا غـير رفاقي
غير موتـــي
وشهيد . أنا عصبت جبينـه
انـا غذيت ظنونـه
كائـن مثلي ولكن لم أكنـه
وهو ما كـان يكونـه
قلق يمشي على الارض ، وقلب مثقل غاص بطينه
أنـا كبلـت يديـــه
أنا حصنـت سجونه

ذلك الاخر شخص لم أكنه ، انما كدت أكونه
كان يحيـا وأنا ارسـف فى الموت
وانا ادفع من موتي ذلك للدنيـا ديونه
كنت ميتـا انما كان معي يحيا
وانا الساعة دونـه
وكلانا مر بالموت ولكن ، انا من عاش سجينـه

بغـداد **صفا الحيدري**

● ما هو الرقص ـ نشوء الرقص ـ الرقص فى العصر الجاهلي ـ الرقص فى العصرين الاموي والعباسي ـ الرقص فى الاندلس ـ فن الرقص ـ الرقص فى العصور الوسطى ـ خصائص الرقص العربي ـ اشعار العرب فى وصف الراقصين والراقصات ـ الرقص غير محرم ـ حقيقة الرقص .

الرقص عند العرب

بقلم شفيق طبارة

الرقص قديم ، قدم الدنيا ، مارسه الناس فى كل زمان وفى كل مكان للاعراب عن عواطفهم ، وخلجات نفوسهم . وكان له فى اول امره حرمة ، واعتبر جزءا من العبادة والابتهال الى الله ، وتكريم الارباب ، ونيل الحظوة لدى الخالق ، ولهذا كان مقامه مقدسا والتقديس هو الاحترام فى اعلى درجاته .

نشوء الرقص

ولو تتبعنا تاريخ الرقص منذ اول عهود البشرية ، لاستحال علينا ادراك بدايته ، فليس يدري احد بالضبط اين موطن الرقص ؟ ومتى نشأ ؟ وكيف كان الاوائل يؤدونه فى اول امره ومستهل نشأته ؟ وغاية ما نعلمه انه انحدر من صلب العقيدة الدينية ، وان اول خطواته كانت من عمل الكهان ، ورجال الدين ، واول حفلاته كانت تقام فى الهياكل ، فكان الكهنة والكاهنات يرقصون حول المذبح ، ويتموجون على نغمات الطبل والابواق الموقعة ، ولكل رقصة مشهد يرمز الى معان واهداف ، ويزعمون انهم يكرمون بذلك الهتهم ، ويستدرون عطفها ، ويردون عنهم غضبها . ومتى قلنا الرقص دخل الغناء والموسيقى حكما فى البحث لارتباطهما الوثيق وعدم انفصال احدهما عن الاخر . على ان الرقص يعود فيما نعلم الى ايام بابل ونينوى وقد مارسه الفينيقيون واليونان والفرس والهنود والصينيون وقدماء المصريين وغيرهم . وكان اليونان اشد خلق الله اهتماما بالرقص ورعاية له ، وما فرقوا بينه وبين غيره من الفنون بل امتزجت كلها عندهم بجميع مظاهر الحياة العامة .

اما الرومان فقد كانوا فى شغل شاغل بتدعيم امبراطوريتهم ، فتهيأت لهم بذلك ملكة اصيلة فى الحرب والخطابة والاشتراع واعتمدوا فى الاداب والفلسفة والفنون على الاخرين وترسموا خطوات الاغريق فى ذلك المضمار .

الرقص في العصر الجاهلي

والرقص عريق فى القدم عند عرب الجاهلية كما هو عريق فى اكثر الامم القديمة حتى ان بعض العلماء قد رجح ان طواف العرب فى الجاهلية حول اصنام الكعبة كان اصله ضربا من الرقص . قال الزمخشري : (انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون) (1) وكان الرجل يقف فى حلقة الرقص فيثب ويطفر ويلعب بالسيف ويأتي من الحركات بما فيه الاشارة الى شجاعته وشدة مراسه وتقف المراة فى الحلقة نفسها فتظهر للرجل ما وهبها الله من رشاقة اعضاء وطراءة الجسم واعتدال القوام وملاحة اللفتات والخطرات وضروب التبرج والخلاعة .

وكان (الزفن) من شأن نساء الجاهلية فى ذلك العهد وشاع كذلك نوع من الرقص مارسه افراد قلائل من الراقصين اطلق عليهم اسم (المخنثين) فكان هؤلاء يتزيون بزي النساء فيخضبون ايديهم ويكحلون عيونهم ، ويطلون خدودهم بالاحمر والابيض ، ويؤدون نمطا من الرقص الذي لا يخرج عن دائرة التثني والتكسر ودغدغة الحواس واستفزاز الغرائز ، وهي ليست من الفن الذي نعنيه فى كثير ولا قليل .

وبسبب هذا الرقص الماجن والغناء الهزيل اللذين كانا لهما وسيلة لكسب العيش ، وذريعة للانغماس فى الملذات ، انحطت منزلة الرقص ، واهمل ، واستعلى القوم عن ممارسته ، واحتقر من يمتهنه جهارا بين الناس لاتصاله الوثيق بالمتعة الجسدية المجردة ، وعد الرقص عيبا وعارا عظيما لان لا غرض من ادائه الا ارضاء الرجال والاستحواز على جيوبهم وقلوبهم ...

الرقص فى العصرين الاموي والعباسي

وهكذا ظل شأن الرقص وما يتبعه من غناء وموسيقى على هذا بسيطا ضئيلا حتى انطلق العرب من جزيرتهم الى العالم الواسع الزاهر ، واختلطوا بالامم المتمدينة المعاصرة لهم ، وارتقى حظهم من الاستمتاع بالحياة ومباهجها تبعا لرقي الحضارة والمدنية ، فاقتبسوا عن الفرس والبيزنطيين الات طرب لم يكن لهم عهد بمثلها من قبل فى جاهليتهم . وحفظ التاريخ العربي اسماء كثيرين من مشهوري الرقاصين على عهد الحضارة العباسية ، كان انبغهم

(1) الكشاف للزمخشري ج 1 ص 230

(كبيش) و (عبد السلام الراقص) . قال عنهما صاحب الاغاني : (انهما كانا من ارقص الناس) (١) وذكر ابو الفرج الاصفهاني ان اسحق الموصلي نابغة الموسيقى العربية قد فاقهما في الرقص فقال (وقام اسحق فرقص طربا فكان والله احسن رقصا من كبيش وعبد السلام وكانا من ارقص الناس . فقال الواثق : لا يكمل احد ابدا في صناعة كمثل اسحق) (٢) .

وقد حشد الخلفاء العباسيين في قصورهم المغنيين واجواق الموسيقيين وعازفي القيثارة . ويقال انه كان في قصر الخليفة هارون الرشيد ثلاثمائة غانية حسناء من كل جنس ووطن ، منهن من كن يضربن بالجنك والعودوالسنطور والدف والقانون والمزمار ومنهن المغنية والراقصة فضلا عما كان في قصره من الندماء والمضحكين . وكانت الجارية لا تستكمل المحاسن كلها ولا تبلغ المنزلة العالية ، والحياة الثرية الغنية ، ولا تحظى بقلوب الخلفاء والوزراء الا حين تجمع الى جمال الوجه جمال الخلق ، وجمال الصوت وروعة الادب والضرب على الالة وبراعة الرقص والغناء .

الرقص في الاندلس

وحفلت الاندلس ابان ازدهار الحضارة العربية فيها بعدد زاخر من المغنين والراقصين ومن الذين اشتهروا بالرقص يومئذ ووفدوا على ملوكه وطافوا ممالكه حيدر بن احمد ابن ابراهيم ابو الحسن واخوه ابراهيم الشاب الظريف ، وقد وفدا على الملك الاشرف بمصر ودانت لهما الرياسة في الرقص والموسيقى ، وقد ترجمهما ابن حجر في الدرر الكامنة (٣) . واشتهر بالرقص ايضا (جعفر الراقص) مخترع الخيال الراقص ، ومن ادواته ان الراقصة ترقص ورا ءستار شفاف فتنعكس بفعل الاضواء للناظرين ما تبديه من حركات ، وشاع اللعب به عند نساء المشرق وجواريه في مصر والعراق وغيرهما ، وقد وصف الشقندي في رسالته (٤) ولوع اشبيليهبالرقص ، وقال انها كانت مدينة الطرب والسرور . وجاء في مناظرة ابن رشد لابن زهر اذ قال الاول (انه اذا مات عالم فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة واذا مات بقرطبة فاريد بيع كتبه حملت الى اشبيليه) . وقال الشقندي عن الرقص في مدن الاندلس الاخرى (انه كان في مدينة آبدة من الرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة وانهن احذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف (٥) .

ونعلم مذهب الاندلسيين في انواع رقص النساء والجواري مما وقع لابن حمديس الشاعر الكبير فقد سأله رجل من ادباء الاندلس ان يصف له راقصة على مذهبهم في رقص نسائهم وفتيانهم فقال (ان الراقصة تشير بانملها وهي تشير الى كل عضو وما حل به من تعذيب الهوى فانذكرت دمعا اشارت الى العين . وان وصفت وجدا اشارت الى القلب وهي مع ذلك تعبر عن تدلل المحبوب وتذلل المحب بما يليق بها من الاشارات الحسنة والحركات المنبهة على ما ارادت) (١) .

ونقرا في (خلاصة تاريخ العرب) لسيديو ان فداوية الاندلس المعروفين بالشفاليه اقتبسوا انواعا من الرقص العربي من عرب الاندلس كما نقلوا بعض الحانهم ولا تزال اثاره موجودة في الرقص الاسباني الى اليوم (٢) .

واشتهرت اشبيليه بنوع خاص من الرقص الاندلسي يصحبه توقيع جميل منظم على الصناجات وشاعت هذه الرقصات في اسبانيا وافريقية الشمالية ثم نقلها الاسبان بدورهم الى اميركا الجنوبية وهي بالرغم مما طرأ عليها من تغيير وما داخلها من تحوير على تعاقب السنين والاجيال فما زالت توصف بانها اندلسية وتحتفظ بطابعها الشرقي من حيث التركيب والوزن وتبدو فيها الالحان العربية واضحة وجلية حتى وقتنا الحاضر .

فن الرقص

وبلغ من ولوع العرب بالرقص على عهد الحضارة العربية انهم عدوه علما من العلوم كما هو معدود الان عند الغربيين وعرفوه بانه (شعر متحرك) وفسروه بانه فن جمال حركة الاقدام على ملائمة تمايل الجثمان وانه والموسيقى والغناء من الحاجات الطبيعية وعد كذلك فنا من الفنون الجميلة تلك التي قال عنها ابن خلدون في مقدمته بانها اخر ما تستعيده الامة الناهضة واول ما تفقده المنحطة وان ارتقائها في كل امة دليل ارتقاء هذه الامة . وقد الفوا فيه وفي احكامه وضروبه الكتب والمؤلفات (٣) وكانت ضروبه تختلف في ممالكهم باختلاف الاقاليم والبلدان الخاضعة له بل كان يختلف في الدولة الواحدة عنه في الدولة الاخرى وكان الرقص عند النساء غيره عند الرجال . وقد اخترع النساء ببغداد وغيرها من امصار العراق الات الرقص المنسوبة لهن فوق ما اخترعن في تلك الايام من الاته وعدده وانواعه قال ابن خلدون عند كلامه على تكامل صناعة الغناء عند ابن المهدي والموصلي وامعان الناس في ذلك ببغداد (ان اتخذت الات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده واتخذت الات اخرى للرقص وتسمى (الكرج) وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكررن ويفررن ويثاقفن) (٤) .

قال المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر) : حكى عبد الله بن خرداذبة انه دخل على المعتمد على الله الخليفة العباسي ذات يوم وفي المجلس بعض ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والحجى فقال له : صف لي الرقص

(١) و (٢) الاغاني ج ٥ ص ٩٢ (٣) الدرر الكامنة (مخطوط) ج ٢ حرف الحاء (٤) و (٥) رسالة الشقندي في نفح الطيب الاندلس على بر العدوة ص ١٤٦ ج ٢

(١) مطالع البدور في منازل السرور للغزولي ج ١ ص ٢٦١ (٢) Sedeillot ص ٢٥٤ (٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٢٥ (٤) مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٤

وانواعه والصفة المحمودة من الراقص واذكر لي شمائله فقال المسؤول « يا امير المؤمنين اهل الاقاليم والبلدان مختلفون فى رقصهم عن اهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع فى الرقص ثمانية اجناس : الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثاني وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله (١) والراقص يحتاج الى اشياء فى طباعه واشياء فى خلقته واشياء فى عمله . فاما ما يحتاج اليه فى طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وان يكون طالبه مرحا الى التدبير فى رقصه والتصرف فيه . واما ما يحتاج اليه فى خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل فى الاعطاف ودقة الخصر وحسن اقسام الخلق واستدارة الثياب من اسافلها ومخارج النفس والاراحة والعبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها فى نقلها وفيما يصرف فيه من انواع الرقص ولين المفاصل وسرعة الانفتال فى الدوران ولين الاعطاف . واما ما يحتاج اليه فى عمله فكثرة التصرف فى الوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحسن الاستدارة وثبات القدمين على مدارهما واستواء ما تعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحدا ولوضع القدم ورفعها وجهان احدهما ان يوافق بذلك الايقاع والاخر ان يتثبط به فليكن ما يوافق الايقاع مترافعا وما يتثبط به متسافلا »

وهذا ما اصطلح اهل اوروبا على تسميته بفن الرقص Technique de la danse وتطابق شروطه تمام المطابقة ما ذكرته دائرة المعارف الفرنسية فى المجلد الثالث عشر صفحة ٨٨٠ وما وصلت اليه ارقى المدنيات وما هو موجود عند الافرنج فى ارقى بيئاتهم الان . وصرح المقريزي بان الناس فى عصر الخليفة الظاهر بن الحاكم بامر الله قد تأنقوا مثله واتخذوا الراقصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما (٢) وذكر ابن خلدون ان الناس قد اولعوا بالرقص عندما استبحر العمران فى مصر وبلغ من رغبتهم فيه أنه اصبح فيها معلمون للرقص كما فى ايامنا فقال (ومن وجوه المعاش فى مصر لمنتحلها بل تكون فائدتها من اعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف فى المدينة مثل الدهان والصفار ومعلم الغناء والرقص واذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الطيور العجم والحمر الانسية وتعليم الحداء والرقص) (٣) ونفهم مما ذكره المقريزي ان الرقص لم يكن فى عصر الحضارة العربية قاصرا على النساء ولكنه كان عاما فى الرجال والنساء وشائعا عند الخاصة . وان الامراء فى عصر السلاطين المماليك بمصر كانوا يرقصون فى الحفلات التي يقيمها سلاطينهم وقال (ان الملك الاشرف خليل بن قلاوون حين اتم قصره المعروف بالاشرفي سنة ٦٩٢ صنع مأدبة لم يصنع نظيرها ودعا اليها الامراء ليحتفلوا بالدار الجديدة وانه لما قام الامراء للرقص نثر الخزندارية اكياس الذهب على كل من قام للرقص منهم (١) ومن هذا نعلم ان هذه الحفلات كانت اشبه بحفلات (البالو) التي تقام فى عصرنا الحاضر . وكان لرقص الجماعات عندهم من الاداب والتقاليد ما كان يراعى فى مراقصهم بكل دقة . فمن هذه الاداب عدم التشويش على الراقصين فى رقصهم وان لا يدخل فى هذا الرقص من لا يحسنه او من يستثقل رقصه ويلوح للجميع منه اثر التكلف وكان ذلك متبعا حتى فى رقص الصوفية .

(١) وهي اسماء اصطلح عليها العرب ومرجعها حركات الاصابع الخمس فى اوتار العود الخمسة شدة وضعفا (٢) الخطط للمقريزي ج ص ٣٥٥
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٨ طبعة مصر

الرقص في العصور الوسطى

وعلى الرغم مما اصاب العالم العربي فى العصور الوسطى من الوهن والانحلال ، وما انتاب الفنون من الجمود والركود، فالرقص ما انقطع من البلاد العربية ولا تلاشى بل ظل بضعة قرون ضعيفا يعيش على الطوى والحرمان ولم يتأثر بالمغيرين ، وانما تأثر المغيرون به واخذوا عنه ، يؤكد ذلك ما كان من نتائج الحروب الصليبية ، فقد اقتبس الافرنج كثيرا من عادات ابناء بعض البلاد العربية وتقاليدهم ومظاهر الحياة بينهم ونقلوا عنهم مواسم الافراح وحفلات اللهو واتخذ امراؤهم جوقات الات الطرب والنوبات العسكرية تشبها بامراء البلاد العربية يومذاك . ولفت نظرهم الرقصات الدائرة منها (الرقص الفردي) وتقوم به النساء على الاغلب ويمتاز بالبطء والرشاقة بينما يصفق لها الناظرون لحفظ الايقاع الموسيقي و (الرقص السريع) ويمتاز بحركات سريعة منظمة وتقبض الراقصة بيديها على قطعتين من النحاس او الخشب وتسمى (الصنوج) تقرعها فى اثناء الرقص قرعا مثاليا يتمشى مع حركاتها و (رقصة الدبكة) الجماعية . و (رقصة السيف والترس) و (رقص السماح) الذي اختصت به مدينة حلب وما برح بعض شيوخ الطرق الصوفية يمارسونه فى حلقات الاذكار وتمارسه طالبات دوحة الادب فى دمشق وهو نوع من الرقص الجماعي الرمزي Ballet ويمتاز بان الصرخات والزفرات والتأوهات المعبرة عن الالم الذي يقاسيه المحبون لا تنطق بها شفاه الراقصين بل تتمثل فى حركاتهم فقط ويعزز تأثيرها ويكشف عن معانيها ما يرافقها من انغام متنوعة وموقعة على الضرب والاوزان .

خصائص الرقص العربي

ونخلص من هذا كله الى حقيقة واضحة وهي ان فى نفوس العرب اصالة فنية عريقة تشهد بانهم شعب فطر على حسن الذوق ورقة الطباع . وشغف ابناؤه بالغناء وبرعوا بالعزف على الالات وشاركوا فى احياء الرقص والنهوض به والابداع فيه . ولست اعدو الحقيقة اذا قلت ان الرقص يحتل فى حياة العرب منزلة اعظم منها فى اية بيئة اخرى فهو عماد الحفلات يجتمعون له ويشترك فيه

(١) المقريزي ج ٢ ص ٢١١

الشباب والشيوخ نساء ورجالا فيرقص الراقصون بينما يتحلق الاخرون ويتمايلون برؤوسهم ويصفقون الايــدي بالتوقيع ، انه الرقص الذي يجري مع الدم والذي تؤديه الاجهزة العصبية من فرط الطرب . والرقص العربي له طابع فني خاص يستطيع المرء تمييزه من بين فنون الرقص وضروبه دون عناء وهو لا ريب فن مختلف عنه عنـد الغربيين وغيرهم فليس هو حركات جنونية ولا هو دغدغة حواس واثارة غرائز وعرض لمفاتن المراة ولا هو ضرب بالاقدام ولف ودوران ، ولا هو تشابك بين اثنين ومخاصرة بين جنسين ولا هو هز صدور ورج بطون وانما هــو حركا تجماعية بريئة منظمة ومعرض افراد ونظام واحد محبوك السبك ويتسم بالاحتشام والذوق السليم وتتجلى فيه الرشاقة والظرف والانسجام كاغرب وابدع ما يكـون الظرف والرشاقة والانسجـام .

اشعـار العـرب فـي وصـف الراقصـين

قال ابن رشيق صاحب العمـدة :

الرقص شـيء حسـن ... ليس بـه مـن حـرج
اقـل مـا فيـه ذهـاب ... الهم عـن قلـب الشجي

وقال المصعب الهندي فى رقاص ماهـر :

عجبت مـن رجلـين يتبعانـه
يعلوهمـا طـورا وتعلوانـه
كـأن افعيين يلسعانـه (١)

وقال ابن خروق فى راقص جميل الصورة :

ومنزع الحركات يلعب بالنهى ... لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضـه ... متلاعبا كالظبي عنـد كناسـه
بالعقل يلعـب مقبلا او مدبرا ... كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منـه راسـه ... كالسيف ضم ذبابه لرياسـه (٢)

وللسري الرقاء فى راقص :

اذا اختلجت انامـلـه لرقـص ... ترى حب القلـوب اليـه تزوى
حبيبي انـت احسن مـن تثنى ... على وتـر واحسن مـن تلوى (٣)

وقال اخـر فـي راقـص :

ترى الحركات فيه بـلا سكـون ... فتحسبها لخفتهـا سكونـا
كسير الشمس ليس بمستقـر ... وليس بممكن ان يستبينـا

وقال اخر فى راقصات مطبوعات على الاجـادة فى صنعتهـن :

يحاذرن وطء الارض حتى كأنمـا ... يطأن بظهر الارض هامـة اصيد

وقد وصف صفي الدين الحلي مراعات الراقصات فى الرقص حركات الضروب من الشعر الملحن على الانغـام بايديهن وارجلهن والتصرف فى الوان الرقص :

والراقصات وقد شدت مآزرهـا ... على خصـور كأوساط الزنابير
مـن كل مائسة الاعطاف بجذبهـا ... موار دعص مـن الكثبـان ممطور
ترعى الضروب بكفيهـا وارجلهـا ... وتحفظ الاصـل من نقص وتغيير
وتعرب الرقص مـن لحن فتلحقه ... ما يلحق النحو من حذف وتقدير (٤)

(١) محاضرات الراغب الاصفهاني ج١ ص ٣٤٤ (٢) نفح الطيب ج ٢ ص ١٣٨ (٣) اثار الاول فى ترتيب الدول ص ١٢٧ (٤) صهاريج اللؤلؤ للسيد البكري

وقال جمال الدين حسن بن علي بن داوذ الفارقي فى خفة حركات راقصة وسرعة انفتالها :

لله راقصة تميـل كأنهـا ... ظل القضيب اذا تمايل مزهـرا
تزهو وترجع كالخيال فـلا ترى ... حركاتهـا الا كطارقـة الكرى
لانت معاطفهـا فكيف تلفتـت ... وتفتلت لا يستطـاع بأن ترى

وقال ابن حمديس فى ديوانه (١) :

وراقصة بالسحر فى حركاتهـا ... تقيم بـه وزن الغنـاء على حـد
منغمـة الفاظهـا بترنـم ... كسا معبدا مـن عزه ذلة العبد
تدوس قلوب السامعين برخمـة ... بها لقطت ما للحـون مـن العد
بقد يموت الغصن مـن حركاته ... سكونا وابن الغصن من نزهة القد
وتحسبها عمـا تشير بأنمـل ... الى ما يلاقي كـل عضو من الوجد
بنا لا بها ما تشتكي من جوى الهوى ... وادمع اشواق مخـددة الخـد

وقال فى رقص النساء على الموسيقى من قصيدة طويلة:

وسود الذوائـب يسحبنهـا ... كسعي الاساود فوق الكثيـب
توافـق بالرقص اقـدامهـن ... يطأن بهـن نعمـات الذنـوب
يشرن الى كـل عضـو بمـا ... يحل بـه في الهوى مـن كروب
بسطنـا لها وهي مثـل الغصون ... تميس بهـن الصبـا والجنـوب
على الارض منا خـدود الوجـوه ... وبين الضلوع خدود القلـوب (٢)

وقال يصف رواقص سابحات الذيول :

ومن راقصات سابحات ذيولهـا ... شواذ بمسك في العبير تضمـخ
كما جررت اذيالها في هديلهـا ... حمائم أيـك او طواويس تبذخ (٣)

ولابن محاسن قصيدة ظريفة فى وصف راقصة مطلعها :

اذا هـزت معاطفهـا لرقص ... وحركت الانامـل والنهـودا
ومالت والتـوت دلا وظرفـا ... ورنحت الشمائـل والقـدودا
رمت بقسي حاجبهـا الينـا ... نبـالا فتت منـا الكبـودا (٤)

وقال ابن الرومي فى راقصة ترقص وعليها الشفوف :

وراقصة بالطبل والصنج كاعـب ... لهـا غنج مخنـاث وتكريه فاتـك
اذا هي قامت في الشفوف اضاءها ... سناها فشفت عن سبيكة سابـك

وقال الوجيه المناوي فى وصف جارية تلعب بالخيال :

وجارية معشوقـة اللهو اقبلت ... بحسن كزهر الروض تحت كمام
اذا ما تغنت قلت شكوى صبابة ... وان رقصت قلنـا حبـاب مدام
ارتنا خيال الظل والستر دونـه ... فأبدت خيال الشمس خلف غمـام
تلعب اشخاصـا لها خلف سترها ... كمـا لعبت افعالهـا بانامـي (٥)

هذا بعض ما وقع لي من اشعار العرب فى وصف الرواقص اوردتها ههنا على سبيل التمثيل لا الحصر عدا ما فاتني منها وما ضاع فى غمرة الحوادث والاعاصير

الرقـص غـير محـرم

ومما يلاحظ ان الرقص عند العرب لم يدخل فى التحريم كسائر المحرمات بل ترك طلقا مباحا لا محظورا ولا منهيـا عنه . فقد روى اصحاب السير ان جوبريات بني النجـار استقبلن النبي بالمدينة بالاناشيد والمعارف . وان الاحباش لعبوا بالحراب بين يديه وسمع جواري تضرب الطبل عند عائشة فلم ينكره حتى اذا دخل ابو بكر منعهن فقال لـه النبي : دعهن يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا . وذهبت عائشة يوما الى عرس فى بيت للانصار فلما رجعت سألها النبي : أهديتم الفتاة الى بعلها . قالت : نعم . قال : فبعثتم معها

(١ و (٢) ديوان ابن حمديس ص ١١١ (٣) ديوان ابن حمـديس ص ١١١ (٤) اثار الاول فى ترتيب الدول ص ١٢٨ (٥) مطالع البدور فـي منازل السرور للغرولي ج ١ ص ٢٦١

من يغني ؟ قالت : لا . . قال : او ما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل .

وقيل كان الحجاج مع عتوه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح ازواجه ويرقص صبيانه .

وجاء في (السيرة الحلبية) : عن ابي بشر ان النبي وابا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون فلم ينكر عملهم وبه استدل ائمتنا على جواز الرقص حيث خلا من التكسر .

وقال ابن عساكر في تاريخه الشهير :

« كان العباس بن الوليد بن عبد الملك فارسا سخيا وكان يقال له فارس بني مروان وافتتح مدنا وحصونا من بلاد الروم وكان الوليد يحب ابنه العباس حبا شديدا وكان له من قلبه احسن موقع فادبه بجميع الاداب حتى علمه الرقص وضرب الطبل » .

وجاء في كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب) :

« كان المنصور بن ابي عامر سلطان الاندلس قد عزم في يوم على الانفراد فامر باحضار فريق من الادباء والندماء واحضر الوزير احمد بن شهيد في محفة (١) لنقرس (٢) كان يعتاده واخذوا في شأنهم . فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فاقامه الوزير ابو عبد الله ان عباس فجعل يرقص متوكئا عليه ويرتجل ويومىء الى المنصور وقد غلبه السكر :

هاك شيخا قاده عذر لك … قام في رقصته مستهلكا
لم يطق رقصا لها مستثنيا … فانثنى برقصها مستمسكا
من وزير فيهم رقاصة … قام للسكر يناغي ملكا
انا لو كنت كما تعرفني … قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا … ورأى رعشة رجلي فبكى

وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره الى المنصور فاستملحه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع الم المرض الذي يمنعه من الحركة قال : لله درك يا وزير ! ترقص بالقائمة وتصلي بالقاعدة . . . فضحك المنصور وامر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادي » .

وفي (مسالك الانصار في ممالك الابصار) : قال محمد بن المؤمل :

كنت مع ابي العتاهية في سميرية (٣) ونحن سائرون الى اشموني . واشموني امرأة صالحة بني الدير باسمها ودفنت فيه فسمع غناء من بعض النواحي فاستحسنه وطرب وقال لي : أتحسن ان ترقص ؟

فقلت : نعم . فقال : قم بنا نرقص . فقلت : في سميرية؟ اخاف ان نغرق ! قال : ان غرقنا او لا نكون شهداء الطرب؟!

وذكر القوصي في الوحيد انه كان للشيخ ابن الفارض جوار بالبهنا يذهب اليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد .

وللشيخ برهان الدين القيراطي :

حبذا مجلس انس … ضمنا بعد شتات
مجلس يرقص فيه … طربا قاضي القضاة

وفي (يتيمة الدهر) لابي منصور الثعالبي :

كان القاضي التنوخي في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على التبسط في القصف (اي الغناء والرقص) وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم وما منهم الا ابيض اللحية طويلها وكذلك كان الوزير المهلبي فاذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع واخذ الطرب منهم كل مأخذ وهبوا ثوب الوقار للصفاء ويرقصون اجمعهم واياهم عني السري بقوله(مجالس ترقص القضاة بها) فاذااصبحوا عادوا لعادتهم في التوقر والتحفظ بابهة القضاة وحشمة المشايخ والكبراء

وقال رجل للحسن البصري : ما تقول في الغناء يا ابا سعيد ؟ فقال : نعم العون الغناء على طاعة الله يصل الرجل بل رحمه ويؤاسي صديقه

ودخل الشعبي وليمة فاقبل على اهلها فقال : مالكم كانكم جمعتم على جنازة . اين الغناء والدف ؟

وعن ابن جريج : سألت عطاء عن القراءة على الحان الغناء والحداء فقال لي : لا بأس بذلك .

وفي (من غاب عنه الطرب) للثعالبي : كان بعض المتكلمين يقول : قد اختلف الناس في السماع فأباحه قوم وحظره آخرون وانا اخالف الفريقين فأقول بوجوبه لكثرة منافعه ومرافقه وحاجة النفوس اليه وحسن اثر استمتاعها به

وبعد فهذه الاحاديث ان دلت على شيء فانما تدل على موقع الرقص من السلف الصالح الذين كانوا مع جدهم ووقارهم وعلو منزلتهم ووفرة فضائلهم يرونه مع الغناء والطرب من اسباب اللهو البريء الذي لا يفسد الطبع ولا يصرف عن الجد فغنوا ورقصوا وطربوا دون ان يتعدوا حدود الحشمهاو يفقدوا شيئا من كرامتهم ومتعوا نفوسهم بطرق لا تضير بالدين باساليب لا تمس المرؤة .

حقيقة الرقص

وهكذا فليس الرقص وما يتبعه من موسيقى وغناء متعة الملتهي وضربا من استرخاء الطبع وكسر النخوة ودك الرجولة بل هو وسيلة من وسائل ترهيف النفس وتنعيمها بما يجلو لها من صور الجمال المهيب . الرقص جزء من الحياة وضرورةاجتماعية ومظهر لمقياس رقي الامم ورياضة بدنية وذهنية لصقل الطباع . وهو المؤثر القوي في ترقية الشعور وتهذيب العواطف وتلطيف الهموم وتثقيف الذوق ومتعة جميلة للاستجمام اذ لولاه لكانت حياة البشر جافة لا تحتمل وعبئا ثقيلا لا يطاق

شفيق طباره

(١) مركب كالهودج (٢) ورم ووجع في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين
(٣) ضرب من السفن

اقســـــى

من ليــــلى

⊙

الـــى J. T.

التـي تقدس غرابا مـن الشرق

لحـــارث الوفـــي

•

بورتسموث ـ انجلتـــرا

بوجهك رحمة .
وفوق حذائك ظلمة ،
حذائك هذا النحيل
ادوس عليه برقصاتنا ، وهو شيء ،
كعيني يسكب نعمه .

بريئـــة .
وتغدرنا الشائعات :
... غراب من الشرق يهوى فتاة بريئة
... يعلمها السحر ، وهو خجول منافق
... لطيفة ، ولكن عشاقها المترفين
كثيرين ، منهم فـــلان .

ويمضي زمـان
وثورة اقوالهم فى دروب الكآبة تسعل
ولكن فى الصدر مشعل
احاول قتل الاحاسيس لكن فى الصدر مشعل

لماذا اتيت الى حفلتي يا خبيث
وفى حفلتي ، كنت انت وامي ،
وكلبي الصغـير .
وفى حفلتي لا يوزع خمر ، وسحر ، توزع قهوة
وفى حفلتي كنت انت وامي ،
فأمي تقص عليك اقاصيص احلامها فى صباها
احاديثها عـن هواهـا .
وبين يديها قميص جميـل .
تطرز فيه حروفـا قديمـة
ألا وهي ، اسمي ، واسمك ، والقلب ،
والسندبـاد .

لقد قلت انك ملاح تهوى الاعالي ،
وتهوى جمالـي
ولكنك الان تخشى سؤالي :
انبقى صديقين أم عاشقين ؟
نقرمط احساسنا فى الليالي ؟

بريئـة .
انا الطير اهوى البيادر .
ولكن فى بيتنا بالنجوم نساء عواهر .
اخاف عليك من التافهين ؟
الذين يظنون انك كنت لقيطه .
وانت اله مـن البحـر
يسكب فسفوره فى الظـلام .
سنبقى صديقين فى صدغنا عصب لا ينـام .
ونقتـل احساسنـا
فـي الليـالي .

الفصحى والعامية

بقلم محمود عارف الاكحل

ابرز مشكلة فى لغتنا العربية هي ازدواجها اي انقسامها الى فصحى وعامية ، اي الى لغة تدوين ولغة محادثة . وذهب الناس مذاهب شتى فى التعصب للفصحى والتنديد بالعامية ، ومنهم من طالب باتخاذ موقف وسط بين الفريقين واعتماد لغة موحدة تجمع بين مميزات الفصحى والعامية . وقبل ان امضي فى هذا البحث اود ان اتساءل كما يتساءل غيري : هل كل من الفصحى والعامية لغة قائمة بذاتها ؟

من المتعارف عليه علميا ان اللغة هي ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة ، لا صفة بيولوجية ملازمة الفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختيار معاني مقررة في الذهن . واللغة فى حياة وموت مستمرين ، تنمو وترتقي تبعا لرقي الامة . (انظر « نحو عربية ميسرة » للدكتور انيس فريحة ص ٣٧ و ٣٨) .

واللغة الجديرة بالحياة هي التي تقوم بوظيفتها على اكمل وجه في الفهم والافهام ، وفى التعبير عن دواخل النفوس بيسر ودون اجهاد . فاذا كانت الفصحى او العامية تؤدي هذه المهمة فهي لغة لها مقوماتها . ويحلو لي فى هذا المقام ان اورد ما قاله الاستاذ محمود تيمور ، عضو المجمع العلمي العربي فى القاهرة ، فى كتابه « مشكلات اللغة العربية » (ص ٢٧) ... والصواب فى اللغة مناطه الشيوع، فمتى ساغت الكلمة فى الافواه فقد ظهرت بحجتها في الاعتداد بها ، واصبح لها فى الحياة حق معلوم .

« ان الوضع الطبيعي فى كل لغة ان ينشأ اللفظ الموفق مؤديا غرضا من اغراض التعبير ، فيصقله الاستعمال حتى يبلغ منزلة الالفة ، وعلى مر الايام يتسع مدلوله فى الافهام او يتقلص ، ويتوهج فى مجال التعبير او يعلوه الصدأ ، وربما انتقل الى مقام غير مقامه ، وحل غيره محله ، وربما طال عليه الامد وهو سائغ مستعذب عليه رونق الحياة ، وربما قضت عليه الاقدار بأن يصير الى اغفال واهمال . كذلك شأن اللغات فى الفاظها وعباراتها منذ كانت ، تنازع موصول بين النباهة والخمول ، وتسابق دائر بين النماء والفناء .

« الناس يتخذون الفاظهم رعيا لملابسات العيش ، وسدا لمقتضيات التعبير . واستيفاء لما يجدون فى انفسهم من الوان المشاعر ، وهيهات الفظ ان يأخذ حظه من السيرورة على الالسن الااذا صادف هوى فى النفوس ، ولامته استجابة عامة بين الناس فى مقامات الكلام. فغلبة اللفظ فى الاستعمال اسطع برهان على صلاحيته ، واقوم دليل على صدق الحجة اليه . بل ان غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت انه خلية حية فى بنية اللغة ، خليقة بالتقدير والاعتبار ... »

وبعد ، ما هو الفارق بين الفصحى والعامية ؟

الفارق من ناحية المهمة هو ان الفصحى هي لغة التدوين او الكتابة ، ولذا يمكن اعتبارها لغة الجمهور الخاص . اما العامية فهي لغة الحياة اليومية العملية ، او بعبارة اخرى انها لغة الجمهور العام . ويقول الدكتور ابراهيم انيس فى كتابه « فى اللهجات العربية » (ص ١٣) : « اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة ، ويشترك فى هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع واشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعا فى مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض ،وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات .

« وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص . فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها . وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات . »

والفارق من ناحية التركيب هو ان العامية اثبتت حتى الان انها ارحب صدرا من الفصحى في مجاراة التطور الطبيعي ، واكثر تحررا من القيود العائقة للتقدم .

وهنا نتساءل : هل تصلح اي من الفصحى والعامية ان تكون لغة كتابة ومحادثة في آن واحد ؟

ان الفصحى تعاني ما تعانيه على اعتبار انها لغة كتابة وحسب . فكيف بها اذن لغة محادثة ؟ اما العامية ، فهي ، وان كانت حائزة على مقومات « اللغة » ، لا تبدو فى نظر الكثيرين خليقة بالسمو الى مرتبة الكتابة لاسباب اذكر منها:

١ — رفضها الخضوع لقواعد جامدة شبيهة بقواعد الفصحى .

٢ — تعدد اللهجات بالعامية الى درجة يتعذر معها ايجاد لهجة موحدة ، وعلى الاخص فى عصرنا الحاضر الذي يطمح فيه العرب الى الوحدة من جميع الوجوه .

٣ — كون الكتابة فن الادب ، والادب هو ارفع مقامات التعبير فى اللغة ، وهو المعرض الجميل لنقاء الالفاظ وجودة الاسلوب . والكاتب الاديب اذا اراد السمو والبروز حرص على تحاشي استعمال الالفاظ الشائعة رغبة فى اظهار البراعة وايفاء لحق « صناعة الكلام » عليه .

٤ — الخوف من ان يؤدي الاندفاع فى العامية الى التأثير فى القرآن الكريم .

ان عدم خضوع العامية لقواعد جامدة يعد فى نظر علماء

اللغات ظاهرة حسنة اذ يعتبرونها دليلا على قابلية العامية للتطور والتقدم . والعامية ، على الرغم من تعدد اللهجات ، ناموس عام غير ملموس ولا محدود ، والدليل على ذلك تفاهم العرب ، ولو بشيء من الصعوبة ، بعضهم مع بعض على تباعد اقطارهم واختلاف عاداتهم وتباين تقاليدهم . ومن لهجة المرء تستطيع ان تعرف ما اذا كان عراقيا او مصريا او يمنيا . ومع ان الفصحى نفسها موحدة في العالم العربي قاطبة فان النطق بها يختلف باختلاف الاقطار ، ومن اختلاف هذا النطق بوسعك ان تحكم على القطر الذي ينتسب اليه المتكلم .

والخطابة فرع من فروع الادب . وكان الخطباء حتى الامس القريب يتخيرون اكثر الكلم وقعا في النفوس استثارة المشاعر وتحريكا للاحاسيس . غير ان زعماءنا يخاطبون اليوم الشعب « بلغة الشعب » فيؤثرون فيه اكثر مما كانت تؤثر فيه الخطب المنمقة والعبارات المزوقة .

والان لننظر في ما اذا كان لاسلافنا العرب فصحى وعامية .

نستطيع هنا الجزم بانه كانت لهم فصحى وعامية ونستخلص هذا الحكم من عدة شواهد هاك اهمها :

اولا — قال العرب « لسانا » لما نعني به « اللغة » اليوم ، وقالوا « لغة » لما نعني به « اللهجة » . وقد ذكروا ذلك صراحة في المعاجم باسنادهم الالفاظ احيانا الى اشهر قبائلهم وهي : قريش وقيس وتميم واسد وهذيل وغيرها ، وتجاهلوا احيانا مثل هذا الاسناد حين قالوا :

في جمع نجم — انجم ونجوم ونجم وانجام ، وكلها بمعنى واحد

وفي جمع ديك — ديوك واداياك وديكة

وفي جمع دواة — دوى ودوي ودوي ودويات

وفي جمع بحر — ابحر وبحور وبحار .

وفي كلمة وجل — يأجل وييجل ويوجل ، وكلها بمعنى واحد

وقالوا : بز وبذ ، وعبر واعرب ، بمعنى واحد

ولا نهاية للامثلة من هذا النوع في المعاجم العربية ، وهي تدل على انها كانت كلها صيغا مختلفة لكلمة واحدة تستعمل كل قبيلة من القبائل صيغة واحدة للمعنى الذي تستعمل له قبيلة اخرى صيغة اخرى من هذه الصيغ .

وقد عقد ابو الفتح عثمان بن جني في كتابه «الخصائص» فصلا مستقلا سماه « اختلاف اللغات وكلها حجة » ، اشار فيه الى بعض الصفات المشهورة عن لهجات القبائل ، وان بعض تلك الصفات اشهر من البعض الاخر ، واكثر شيوعا في اللغة ، ولكنها جميعا مما يحتج به ، الى ان قال ما نصه « الا ان انسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا لاجود اللغتين ، فاما ان احتاج الى ذلك في شعر اوسجع فانه مقبول منه غير منعي عليه » .

ثانيا — لما جاء الاسلام ، واراد ان يؤلف بين قلوب الخاصة والعامة ، سمح بان يقرأ القرآن الكريم ببعض الصفات الكلامية الشائعة بين العرب والتي لم يكن في مقدور العامة غيرها . فالقرآن الكريم وان نزل بلهجة موحدة ، ولغة ادبية موحدة ، ابيح في قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة تيسيرا على عامة العرب ،وتأليفا لقلوبهم

هذا هومعنى الحديث الشريف « انزل القرآن على سبعة احرف » .

ويقول جرجي زيدان في كتابه «تاريخ التمدن الاسلامي» (الجزء الثالث ص ٦٠) : « كان للقراءة شأن عظيم في اول الاسلام لقلة الذين يقرأون يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تمييزا لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا اميين . وقد تقدم ان السبب الذي حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . على انه لم يمض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمان قصير حتى اصبح لاهل كل مصر قراءة خاصة يتبعون فيها قارئايثقون بصحةقراءته وتنوقل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات معينة تواتر نقلها بادائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة وبعدها بعضهم عشرا . »

وتنقسم القراءات القرآنية الى ما يأتي :

١ — قراءة نافع بن ابي رؤيم ، وهي قراءة اهل المدينة

٢ — قراءة عبد الله بن كثير ، وهي قراءة اهل مكة

٣ — قراءة ابي عمرو بن العلاء ، وهي قراءة اهل البصرة

٤ — قراءة عبدالله بن عامر ، وهي قراءة اهل الشام

٥ — قراءة عاصم بن ابي النجود ، وهي من قراءة اهل الكوفة

٦ — قراءة حمزة بن حبيب الزيات ، وهي من قراءة اهل الكوفة

٧ — قراءة على الكسائي من ائمة النحو ، وهي من قراءة اهل الكوفة

٨ — قراءة يزيد بن القعقاع شيخ قراء المدينة واستاذ نافع

٩ — قراءة خلف البزاز (وهو من تلاميذ حمزة) ، وهي من قراءة اهل الكوفة

١٠ — قراءة يعقوب الحضرمي ،وهي قراءة اهل البصرة .

ولبيان مبلغ الاختلاف بين هذه القراءات نقتطف هذه الامثلة :

قراءة نافع :

١ — همز كلمة النبي مفردا ومثنى وجمعا نحو : يا ايها النبيء (تماثل كلمة نبيء العبرية) والنبيئون .

٢ — مضارع (حسب) مكسور العين

٣ — فعل حزن رباعي نحو (اني ليحزنني) الا في آية واحدة هي لا يحزنهم الفزع الاكبر الخ ...) سورة الانبياء آية ١٠٣

٤ ـ الهمزتان في أول الكلمة ااندرتهم (سورة البقرة آية٦) تمد الاولى وتبدل الثانية هاءا يقال له التسهيل نحو آهنذرتهم (رواية قالون) او اهنذرتهم (رواية ورش)

٥ ـ يمال المقصور اليائي نصف امالة نحو فتى وهدى ومصطفى .

قراءة ابن كثير :

١ ـ كلمة ضياء تقرأ ضئاء نحو (هو الذي جعل الشمس ضياء الخ ...) سورة يونس آية ٥ .

٢ ـ ابن كثير لا يفخم اللام بعد الصاد والضاد والظاء كما يفخمها ورش في قراءة نافع .

قراءة ابي عمرو :

١ ـ هذه القراءة مبنية على اضغام المثلين والمتقاربين نحو سلككم تقرأ سلكم ومناسككم تقرأ مناسكم ، اتخذتم تقرأ اتخدتم (بالدال) حيث شئتما تقرأ حيث شئتما ، والعرش سبيل تقرأ العرش سبيل .

٢ ـ ميم الجمع مكسورة بعد الكسر نحو عليهم

٣ ـ امالة كل اسم ختم براء مكسورة بعد الف نحو الكفار ، وحمار

قراءة ابن عامر :

١ ـ كلمة ابراهيم تقرأ في بعض المواطن ابراهام (رواية هشام) كالقراءة العبرية

٢ ـ امالة بعض الكلمات نحو جاء وشاء الخ ...

هذه القراءة ليس فيها تسهيل ولا اضغام ولا امالة الا في بعض الكلمات ورواية حفص منها مشهورة جدا في مصر .

قراءة حمزة :

١ ـ كل مقصور يمال امالة تامة نحو الهدى وفتى وشاء وجاء وزاغ وخاب وطاب وضاق الخ ..

٢ ـ يؤمنون تقرأ يومنون الخ ...

٣ ـ كلمة صراط تشم في الصاد منها رائحة الزاي نحو زراط وازدق عوضا عن اصدق

٤ ـ النون ساكنة قبل الواو ، والياء لا غنة فيها نحو : من يشاء ، ان يأتي الخ ...

اما قراءة الكسائي فقريبة من قراءة حمزة وكذلك قراءة خلف وتقرب قراءة ابي جعفرمن قراءة استاذه نافع وتوافق يعقوب بعض القراءات السابقة .

وفي القراءات احكام متعلقة بالوقف والابتداء وصفات الحروف ومخارجها من همس وجهر وغنة وقلب واستعلاء الخ ....

ثالثا ـ ما ورد في ثنايا كتب الادب والتاريخ خاصا بهذه اللهجات ، ويتبين من وجوه الخلاف ان منها ما يتعلق بالاصوات ومنها ما يتعلق بالقواعد وبنية الكلمات واوزانها وما الى ذلك ، ومنها ما يتعلق بالمفردات . فمن مظاهر الاختلاف في الاصوات ما يلي :

ابدال همزة (ان) عينا في لغة تميم (ويسمى ذلك عنعنة تميم) . ـ وابدال الهمزة هاء احيانا في لغة طيء . ـ وابدال الميم باء والباء ميما في لغة مازن وحذف نون (من) الجارة عند خثعم وزبيد اذا وليها ساكن « ملبيت » مكان « من البيت » وهي مطابقة لعامية مصر في العصر الحاضر) . وقطع اللفظ قبل تمامه في لغة طيء (ويسمى ذلك قطعة طيء : « يا ابا الحك » في « يا ابا الحكم » . ولم يكن هذا مقصورا عندهم على المنادى ، وهذا الاسلوب منتشر في كثير من اللهجات العامية في مصر) . ـ وابدال الكاف شيئا ولا سيما في الوقف في لغة أسد ـ (كشكشة اسد : « عليش » مكان « عليك » . وابدال الكاف شيئا مطلقا في لغة اليمن (ويسمى شنشنة اليمن : « لبيش اللهم لبيش ») . والحاق سين بكاف المخاطب المذكر او استبدالها بهاء في حالة الوقف في لهجة ربيعة للتفرقة بين المذكر والمؤنث (كسكسة ربيعة : « عليكس » مكان « عليك ») . ـ وابدال العين الساكنة نونا اذا جاوزت الطاء عند هذيل وقيس والانصار وسعد بن بكر (استنطاء هذيل ، فيقولون: « ان انطيناك الكوثر » في « ان اعطيناك الكوثر » ، وهذا الاسلوب منتشر في اللهجات العامة بالعراق وغيره في العصر الحاضر) . ـ ووجود صوت بين القاف والكاف والجيم في كثير من لهجات اليمن . ـ ووجود صوت بين الشين والجيم والياء في بعض اللهجات (ويوجد هذا الصوت في عامية العراق في العصر الحاضر) . ـ والحاق صوت القاف باللهاة حتى يغلظ فيقرب من صوت الكاف عند بني تميم (وهو صوت الجاف او الجيم غير المعطشة الذي يستبدل بصوت القاف العربي في كثير من اللهجات المصرية وغيرها : « جال » بدلا من « قال ») . ـ واستبدال الجيم بياء النسب وبياء المتكلم في الاضافة عند بني تميم فيقولون « غلامج ، علج ، عشج » ، بدلا من « غلامي ،علي، عشي » . ـ وفتح باء الجر وكسر لامه في حالة جرهما لضمير المفرد الغائب في لغة قضاعة (فيقولون « مررت به، والمال له ») . ضم هاء « ايها » اذا لم يتلها اسم اشارة في لغة بني اسد (أيه الناس) .ـ وكسر اوائل الافعال المضارعة في لهجة بهراء (تلتلة بهراء : « يضرب » مكان « يضرب » ، وهذا الاسلوب منتشر في كثير من اللهجات العامية بمصر .ـ وابدال ياء (الذين) واوا في حالة الرفع في لغة هذيل . ـ وابقاء الف هذان وهاتان في حالتي النصب والجر في لغة بني الحارث بن كعب (وبها قرىء : ان هذان لساحران) وتعريف الاسم والصفة بام بدلا من ال في لهجة حمير (طمطانية حمير ، وبها جاء الاثر : « ليس من امبر امصيام في امسفر » مكان « ليس من البر الصيام في السفر ») . ـ وقلب الف المقصور ياء عند الاضافة في لغة هذيل « سبقوا هوى » بدلا من « سبقوا هواى » . ـ والوقوف على المنون بالسكون في حالة النصب في لهجة ربيعة (فيقال رايت محمد في حالة الوقف) . ـ وعدم اعمال « ما » في لغة تميم (ما محمد قائم) . ـ والاختلاف في صيغ الجمع (فجمع الاسير مثلا اسرى عند بعضهم واسارى عندآخرين) . ـ والوقف

على هاء التأنيث عند حمير (فيقال « هذه امت » بدلا من « هذءامة ») واشباع الضمة في عين المضارع المضموم حتى يتولد عنها واو في بعض اللهجات (فيقال « انظور » مكان « انظر ») . وتسكين الهاء في له في الوصل في لغة ازد السراة .

ومن المفردات التي بقيت عند بعض القبائل من لهجاتها الاولى: « ذو » بمعنى الذي في لغة طيء ، و « متى » بمعنى (من) الجارة في لغة هذيل ، و « وثب » بمعنى جلس في لغة حمير ، والوثاب عندهم الفراش ، ويقولون « وثبة وسادة » اي فرشه اياها واجلسه عليها ، و « تمنى » بمعنى تمطى في اللهجات . (انظر « فقه اللغة » للدكتور علي عبد الواحد وافي ، و « العربية — دراسات في اللغة واللهجات والاساليب » تأليف يوهان فك Johann Fuck نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار) .

وهنا يعترضنا سؤال آخر : لماذا لم تظهر آثار هذه اللهجات في الشعر الجاهلي الذي كان مستندا مهما من مستندات اللغة العربية ؟

على الرغم من اختلاف الاراء حول صحة الشعرالجاهلي (انظر كتاب « في الادب الجاهلي » للدكتور طه حسين ص ٨٧ — ٩٠ وكتاب « تاريخ اللغات السامية » للدكتور اسرائيل ولفنسون ،ص ١٦٩) فان الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان هي ان الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة من العرب قبل الاسلام وفي اوائل عهده كانوا قلة .

واذا ما فرضنا صحة الشعر الجاهلي فاننا نرجح الرأي الذي توصل اليه جرجي زيدان في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » (الجزء الاول ص ٢٤) : « اذا تدبرت تاريخ العرب قبل الاسلام على غموضه وابهامه تبين لك امور تدعو الى الاعتبار واعمال الفكرة . منها ان العرب على اختلاف القبائل والبطون قلما نبغ فيهم شاعر او خطيب او حكيم او كاهن في عصورهم الجاهلية الاخيرة الا بعد دخولهم في القرن الاول قبل الهجرة . ولا يعترض بضياع اخبار من ظهر منهم قبل ذلك التاريخ فقد حفظوا اخبار عاد وثمود وصالح وهود قبل ذلك بقرون متطاولة وذكروا بضعة شعراء ظهروا قبل القرن الاول المذكور . فلو نبغ غيرهم من الشعراء او الخطباء لما ضاع ذكرهم ضياعا تاما . واما تاريخهم في جاهليتهم الاولى وهم في بابل او اليمن فلم يصلنا منه ما يشفي الغليل .

« فتكاثر الشعراء والخطباء والحكماء في القرن الاول قبل الاسلام دفعة واحدة هو ما عبرنا عنه بالنهضة العربية او الادبية . »

وكان للعرب في الجاهلية اسواق يقيمونها في مواقيت مختلفة من السنة وينتقلون من احداها الى الاخرى . فكانوا مثلا ينزلون دومة الجندل في اعالي نجد اول يوم من شهر ربيع الاول فيقيمون اسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء ، ثم ينتقلون الى سوق هجر فيقيمون هناك شهرا، ويرتحلون منها الى عمان فيقيمون سوقهم ، ثم يرتحلون الى حضرموت فعدن وبعضهم ينزل الى صنعاء فيقيمون اسواقهم ثم يرتحلون الى عكاظ في الاشهر الحرم . وكانت لهم اسواق اخر في صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (انظر « نهاية الارب في معرفة قبائل العرب » لمؤلفه احمد بن علي القلقشندي) .

غير ان اشهر هذه الاسواق سوق عكاظ ، وهي مكان بين الطائف ونخلة . وكان العرب اذا قصدوا الحج اقاموا بهذه السوق من اول ذي القعدة يبيعون ويشترون الى العشرين منه ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى اوطانهم . وكان اهالي كل منطقة يحضرون سوقهم المحلية الا سوق عكاظ فكانوا يتوافدون اليها من كل ناحية . ومن كان له اسير في فدائه ومن كانت له دعوى ارتفع بها الى الذي يقوم بامر الحكومة . ومن كان له ثأر على احد ولم يعرف مكانه طلبه في عكاظ ،او اراد ان يفاخر احدا على مشهد من الناس فاخره هناك .

فكان من الطبيعي ان ينظم الشعراء قصائدهم بلغة موحدة يفهمها جميع الحضور على اختلاف اماكنهم ويتذوقها المحكمون الذين كانوا يفاضلون بينها . وكانت هذه اللغة هي لغة قريش بصفتها القبيلة المضيفة وصاحبة الاشراف الاول على الحج ومناسكه في موسم عكاظ . وهكذا كان الشعراء يتحاشون الالفاظ التي تدل على لهجتهم المحلية قدر المستطاع . فجاء نظمهم تقريبا خلوا من الادلة على لهجات العرب .

كيف تنشأ اللهجات ؟

تقتضي نواميس اللغات انه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الارض ، وتكلمت بها طوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الاولى امدا طويلا ، بل لا تلبث ان تنشعب الى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، ولا تزال مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل منها لهجة متميزة . ومن بين هذه النواميس :

١ — الانعزال بين بيئات الشعب الواحد . وهذه ظاهرة كانت بين العرب بسبب طبيعة بلادهم وافتقارهم الى اسباب المواصلات والاتصال . وفي مثل هذه البيئات المنعزلة كانت تشيع الاختلافات اللغوية ، وعلى الاخص لجهلهم القراءة والكتابة .

٢ — انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان وما تبع ذلك من صراع بين اللغة الغازية واللغات المغلوبة . وعلى الرغم من انتصار العربية على اللغات الاجنبية فقد تأثرت هي نفسها ببعض مميزات هذه اللغات كما ان ابناء هذه اللغات لم يستطيعوا التخلص كليا من بعض مميزات السنتهم الاصلية .

٣ — عوامل اجتماعية سياسية: كاستقلال البلاد العربية

بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . فمن الواضح ان انفصام الوحدة السياسية يؤدي الى انفصام في الوحدة الفكرية واللغوية .

٤ ـ عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق فى النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات. ومبلغ الثقافةومناحي التفكيروالوجدان ومن الواضح ان الاختلاف في هذه الامور يتردد صداه في اداة التعبير .

٥ ـ عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ، وفى ما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وانهار وبحيرات . فلا يخفي ان هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي ـ عاجلا او آجلا ـ الى فروق وفواصل في اللغات.

٦ ـ عوامل شعبية جنسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الاجناس والفصائل الانسانية التي ينتمون اليها والاصول التي انحدروا منها .

٧ ـ اختلاف اعضاء النطق باختلاف الشعوب . فمن المقرر ا نهذه الاعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف الى الخلف . (انظر كتاب « علم اللغة » للدكتور علي عبد الواحد وافي ، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠) .

٨ ـ التطور الطبيعي المطرد لاعضاء النطق .

٩ ـ الاخطاء السمعية وسقوط الاصوات الضعيفة . قد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج ، كوقوعه في آخر الكلمة وزيادته عن بنيتها ، وعدم توقف المعنى المقصود عليه ، فيتضاءل جرسه شيئا فشيئا حتى يصل في عصر ما الى درجة يكاد لا يتبينه فيها السمع ، فحينئذ يكون عرضة للسقوط . ومثال ذلك ان معظم الصغار فى هذا العصر يكادون لا يتبينونه في نطق الكبار ، فينطقون بالكلمات مجردة منه .

١٠ ـ موقع الصوت في الكلمة : وموقع الصوت في الكلمة يعرضه كذلكلكثير من صنوف التطور والانحراف . واكثر ما يكون ذلك في الاصوات الواقعة فى اواخر الكلمات سواء اكانت هذه الاصوات اصوات مد او اصواتا ساكنة . مثال ذلك : رجع عمر للمدرسة . وسام وعيس ورم ، بدلا من سامي وعيسى ورمى . ووقوع الصوت في وسط الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف . مثال ذلك : راس بدلا من رأس ، وعين ويوم بدلا من عين ويوم ومصر وفجل بدلا من مصر وفجل . وكذلك اذا وقع فى اول الكلمة مثال : اذن ، اين ، ادى ، فقد تحولت الى ودن (فى مصر) فين أو وين ، ودى .

١١ ـ تناوب الاصوات المتحدة النوع القريبة المخرج ، وحلول بعضها محل بعض . ويتبين من ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الانسانية ان الاصوات المتحدة النوع ، القريبة المخرج ، تميل بطبعها الى التناوب وحلول بعضها محل بعض .

١٢ ـ يتغير مدلول الكلمات تبعا للحالات التي يكثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام مثلا في بلد ما اوفي عصر ما فى بعض ما يدل عليه تزيل مع تقادم العهد كل معناه وتقصر مدلوله علىالحالات التي شاع فيها استعماله. وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه المعنى العام . وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازى تؤدي غالبا الى انقراض معناه الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازى محله . واستخدام الكلمة في فن او صناعة بمعنى خاص يجردها فى هذا الفن او فيهذه الصناعة من معناها اللغوي ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي .

١٣ ـ يتغير مدلول الكلمة احيانا تحت تأثير القواعد . فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل الى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيهه وجهة خاصة . فتذكير كلمة « ولد » مثلا فى العربية (ولد صغير) ، قد جعل معناها فى الذهن مقترنا بالذكر ، ولذلك اخذ مدلولها يدنو شيئا فشيئا من هذا النوع ، حتى اصبحت لا تطلق في كثير من اللهجات العامية الا على الولد من نوع الذكور.

١٤ ـ قد يتغير مدلول الكلمة في انتقالها من السلف الى الخلف . فكثيرا ما ينجم عن هذا الانتقال تطور في معاني المفردات . وذلك ان الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق . ويساعد على هذا الاختلاف كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع والمجاز .

١٥ ـ وقد تغيرت فى اللغات العامية مدلولات كثير من الكلمات لان الشيء نفسه الذي تدل عليه تغيرت طبيعته او عناصره او وظائفه او الشؤون الاجتماعية المتصلة به وما الى ذلك .

١٦ ـ انتقال كلمات جديدة الى بعض اللهجات العاميةمن اللغات الاجنبية التي احتكت بها . فقد انتقل الى كل بلد عربي اللسان كثير من كلمات اللغات التي اتيح له الاتصال باهلها اتصالا ثقافيا او سياسيا او اقتصاديا .

١٧ ـ انتقال اصوات جديدة الى بعض اللهجات العامية من اللغات الاجنبية التي احتكتبها .

١٨ ـ دخول قواعد جديدة في بعض اللهجات العامية للحاجة اليها فى الكلام او عن طريق احتكاكها باللغات الاخرى فقد انتقلمثلا الى المصرية والعراقية طريقة النسبالتركية (بزيادة جيم وياء) في بعض الكلمات وخاصة ما يدلمنها على الحرفة (عربجي ، طرشي ، جزمجي) ، وطريقة الاضافة في بعض الكلمات بتقديم المضاف اليه علىالمضاف (كتبخانه ، انتيكخانه) . وانتقل الى اللهجة العراقية طريقة النعت الفارسية التي يقدم فيها احيانا النعت على المنعوت

(فيقال « خوش ولد » خوش كلمة فارسية معناها حسن، ومعنى الجملة ولد حسن او ما احسنه من ولد) ، وطريقة تنكير الاسم المفرد بذكر كلمة قبله تدل على الوحدة (« فرد رجل » ، « فرد مخالفة » .) وانتقل الى معظم اللهجات العامية المتشعبة عن العربية طريقة الاضافة بتوسط كلمة تدل على التملك بين المضاف والمضاف اليه : ففي مصر تتوسط غالبا كلمة « بتاع » المحرفة عن متاع ، وفي تونس والجزائر كلمة « اتاع » أو « تاع » المحرفة كذلك عن متاع ، وفي سوريا ولبنان كلمة « تبع » (الكتاب تبعي) ، وفي المغرب الاقصى كلمة « ديال » ، وفي العراق كلمة « مال » للمذكر و « مالة » للمؤنث (فيقال « الكتاب مالي » ، « الكراسة مالتي » اي كتابي وكراستي) .

وبالنظر الى ما تقدم ، والى ما اتفقت عليه الاراء من ان العربية فرع من لغة سامية اصلية (راجع كتاب « تاريخ اللغات السامية » للدكتور اسرائيل ولفنسون) امكننا القول ان « فصحانا » اليوم كانت سامية « عامية » قديمة ، او لهجة سامية انسلخت عن الاصل ، كما انسلخت عنه الكنعانية والبابلية الاشورية والآرامية والحبشية والعبرية واخذت تترعرع وتنمو في معزل عنه الى ان اصبحت لغة مستقلة لها كيانها الخاص . ومن هنا نشأ خوف بعضنا من ان تنعزل لهجاتنا العامية الحاضرة وتتخذ كيانات مستقلة ويصيب العربية الفصحى ما اصاب السامية الاصلية . غير ان هذا مستبعد في عصرنا هذا لاسباب اهمها :

١ ـ تقارب المسافات بين البيئات العربية بفضل اسباب المواصلات الحديثة .

٢ ـ اتساع نطاق التعليم .

٣ ـ انتشار الصحف والاذاعات والسينما .

٤ ـ الشعور العام بضرورة التوحد والتضامن والتآلف .

خلاصــــة

هنالك عدة حلول مقترحة لحل مشكلة ازدواج اللغة العربية،غير انني لا اعتقد انه في الامكان فرض الحل فرضا مهما كان منطقيا ومعقولا ، بل يجب ان يأتي طبيعيا . وليس في مقدور احد ان يحمل الخلق جميعا على النطق بلهجة واحدة او الكتابة والقراءة بلغة موحدة ان لم تكن هناك رغبة عامةفي ذلك واستعداد شامل لقبوله . وسنبقى الى ما شاء الله نخاطب اطفالنا بلغة مبسطة ، ونستملح الفكاهات باللغة العامة ، ونغني ونطرب باللغة العامية . ونلاحظ ان العامية مستمدة من الفصحى اي من لغة موحدة ، فلا بد ان يكون للهجات العامية على تباينها قاسم مشترك واحد . ونلاحظ كذلك عزوف الكتاب والادباء عندنا لاسبابتتعلق « بصناعة الكلام » عناستعمال الالفاظ الدارجة على اعتبار انها « مبتذلة » مع ان معظمها فصيح (انظر كتاب « رد العامية الى الفصيح » لمؤلفه احمد رضا ، عضو المجتمع العلمي العربي بدمشق) .

ولا يخفى ان المتعلمين من العرب اذا ما وجدوا صعوبة في التفاهم بلهجاتهم المحلية الخاصة لجأوا الى الفصحىمع التحرر من الاعراب. ومن هنا يتبين لنا انه اذا محيت الامية في العالم العربي استطاع العامة التفاهم من تلقاء انفسهم ، ودون مشقة او عناء ، بفصحى مبسطة . واعني هنا بالتبسيط تجنب الصفات المميزة الخاصة باللهجات المحلية مع الابقاء على الصفات العامة للعامية التي تشترك فيها جميع اللهجات .

وقد اصبحت معظم الصفات الخاصة مألوفة تقريبا بين السواد الاكبر من العرب بفضل انتشار الطباعة والاذاعة والسينما .

ويمكن اجمال الحل الطبيعي بما يلي :

١ ـ محو الامية .

٢ ـ تسامح الكتاب في استعمال الالفاظ التييظنونها عامية وهي فصيحة ، وتجنبهم احياء الالفاظ الموات التي فقدت مدلولاتها على مر الزمن ، والعمل على ايجاد كلمات لطيفة لمدلولات حديثة ، اذ تبين ان العامية تتقبل مثل هذه الكلمات امثال : دبابة ، سيارة ، طيارة ، الخ ...

٣ ـ ومما يساعد على الاسراع في تحقيق الناحيتين الانفتي الذكر ، تبسيط القواعد العربية تشويقا للاقبال على التعلم ، الامر الذي يجعل المتعلمين يدركون بصورة عفوية مواضع الانحراف فيتجنبونها . وهكذا تنقى العامية من شوائب الصفات الخاصة في اللهجات . وهنا اقول ما قاله الشيخ عبد الله العلايلي في مقدمته « لدراسة لغة العرب » (ص ١٠٠) في معرض رده على حفني ناصف:

« ... يقترح محو العامية واحلال العربية محلها في السوق والبيت والمدرسة . مما هو حلم يصبح الانسان منه على ذكراه.ونحن نقترح ترقية العاميةعلى معنى غزوها بالمفردات الفصحى . وفي الواقع ان شيئا من هذا اتى عرضا بانتشار الصحافة العربية حتى بدت العامية العربية، افصح من عربية (الجبرتي) الفصحى التي استعملها لغة تأليف . وخذ أية مجلة تكتب بالعامية الصرفة ، فلا ترى كبير فرق بينها وبين الفصحى الا بالاعراب ومفردات اخرى تكاد تكون معدودة . فاذا اخذت المجامع بالحزم واستعملت مشوقات بنشر اطرف الالفاظ واترفها ، فلا تلبث العامية ان تكون عربية زايلها الاعراب فقط . ومن ثم لا يبقى في المحيط العربي ، لغة حديث ولغة درس ، بل تصبح لغة واحدة تقريبا ، اهم الفوارق بينهما كما قلنا او اكبرها الاعراب ، الذي نرى الكثرة المتعلمة تتخفف منه في المحاضرات والخطب احيانا بله الحديث . »

محمود عارف الاكحل

الشـــاعـر والربـاب

انـــا مـــن يملك الدنيـا وكل دناي اشعـار
يكلـل هامتـي نـور وتحـرق مهجتـي نـار
وجودي قبـل ان اوجـد قد وشمته اقـدار
وشعـري عنصر الدنيـا ففيه الحب والثـار
وروحـي نسمة تسري ونـافـذة واستار
ولـي في القلب اطيـار ولي في العقـل أوكار
وليس لدي مـن خل فخلي الظل والـدار
نبـي حاكـم بطـل وشيطان وسحـار

انـا من عاش ظمآنـا وليس لغلتـي منقع
وهذي الكأس كأسكـم بكل هوى الدنى تترع
قذفـت بهـا وراء الظهر فارغة ولم اشبـع
رحيقي من دنى اخرى ونوري من سنا أبـدع
وخلـف جبيني المحموم كـون آخر أوسـع
اطيـر وراء انجمـه بـروح واثـب مسرع
وقـد تهوى بي الاحلام في عنف وقـد تصرع
ولكـن نشوة التحطيم تسكرنـي فاستمتـع

ومـن روح الطبيعة جئت ، صاغ الله اسراري
فاني النهـر فـي سيري وفي شطحات أفكاري
وكنت النبع في بدئـي وكنت الجدول الساري
وفي زهوي بتكوينـي وثبت كضيغـم ضار
وصرت النهـر مجتاحا امامـي جسر أسواري
وفي هيجانـي المزبد ، في جـولات أسفـاري
جريت جريت مندفعـا الى احضان اقـداري
ومد البحر أذرعـه وكفن جسمي العاري . . !

وانـي الغاب في صمتي الكئيب الغامض المقلق
اذا عبـر الورى دربـي فدربي مظلم مطبـق
عليـه تئن اوراقـي بوجه شاحب مرهـق
ولكن لي صلاواتـي وهمسي الخاشع المطرق

وفي اعمـاق اعماقـي سمـاء لونهـا ازرق
يفضض جدولـي قمر ويرعش دوحتي مشرق
واحضن عزلة العاشـق في اطمئنانه المطلـق
واهـدي روحـه الحيرى وافتح قلبه المغلـق

وانـي الجبل العانـي بعبىء الزاهـد المثقل
وهذا الفجر ان يزهـو فلي مـن قبلكم مرسل
يقدم لـي الخطى الاولى ويهدي نـوره الاول
ولكنـي احـن احـن في افقي الـى اسفـل
اصـد زوابـع الدنيا عن الدنيـا واستقبـل
وابسط ظلي المتـد فـوق السهل والمنهل
ومن احشائـي الجرحى اشيد البيت والمنزل
فتقتسمـون أثوابـي وابقى عاريـا مهمل .

ربيـع الناس اشواق وكـون مـن صبابات
ولكـن لـي انا وحـدي ربيعا في حنياتـي
وفجرا من سنـا روحي ومن اشراقي الذاتي
وليـلا شاعـرا مثلـي تدفـق بالخيـالات
اهيـم اهيم في حلمـي وانهل مـن لذاذاتـي
وتحـت انامِلي امضي علـى ترجيع آهاتـي
ازف الفكـرة الفرحى الـى المستقبل الاتـي
واسكـر بالرؤى النشوى وادفـق باعترافاتي

وقد يغزو دمـي ليل ويغـزو القلب اعصـار
وقـد تسـري كآباتـي وليس لهـن اسرار
فاذكـر اننـي فـن وان الفن جبـار
واصرع في الدجـى سأمي وتلهب رعشتـي نار
واهتف حاضنـا نايـي على شفتي أشعـار

نبـي حاكـم بطـل وشيطـان وسحار . .

القاهـرة

جليلة رضـا

كانت الليلة قد قاربت منتصفها، وساد السكون في القرية، واختفت الاضواء من نوافذ المنازل ولولا نباح كلب من جانب السفح الغربي للتلة التي تقوم عليها القرية لما دل على علائم الحياة فيها اي دليل .

ووقف ابو سعيد على عتبة الباب، والقى نظرة على صفحة السماء ، ثم انطلقت من صدره آهة عميقة حرى، وغمغم يخاطب نفسه بكلمات لا تفصح عنها شفتاه ... كانت النجوم تتلألأ في ارجاء القبة الزرقاء ، والقمر يرسل اشعته الباهتة الحزينة ، والريح ساكنة هادئة حتى ليكاد المرء يحسب انها ليلة من ليالي حزيران او تموز .

كان ابو سعيد قد عاد لتوه من مضافة المختار ، حيث قضى ردحا من الليل مع من جاء من اهل القرية الى تلك المضافة ، تدار عليهم فناجين القهوة السادة ، ويتبادلون الاحاديث ... واي حديث يمكن ان يجري بينهم سوى حديث هذه السماء الصافية ونجومها المتلألأة ... لكم طال صفاؤها والتماع نجومها ... ولكم طال ارتقابهم للغيوم الكثيفة المتراكمة يكفهر لها اديمها ، وللامطار الهاطلة تروى ظمأ الارض والانسان والحيوان .

لقد انقضى النصف الاول من شهر كانون دون أن يبتل وجه الارض بنقطة واحدة من ماء المطر . وذهبت عبثا وسدى الصرخات والتضرعات تتصاعد من الصدور والقلوب . من صدور النساء والاطفال والعجائز والشيوخ . حتى الحيوانات الخرساء كانت ترفع عيونها الى فوق وتغرورق مآقيها بالدموع وهي ترى التلاع الجرداء اليابسة لا تجود بما في جوفها من حشائش واعشاب كما اعتادت ان تفعل كل عام .

واستدار ابو سعيد على عقبيه ودلف الى الخان ، والقى نظرة كاسفة على الزاوية التي يخزن فيها التبن ، وهز راسه بأسى وهو يشاهد الكمية القليلة المتبقية لديه . لو انه كان يعلم بان السماء لن تجود بالامطار في زمنها المعتاد لاحتفظ بكمية اكبر من التبن،بل لملأ الخان كله بالتبن الابيض الناعم النقي ، ولاحتفظ بكمية كافية من حبوب الكرسنة ، ولكن من يعلم الغيب الا الله . لقد وضع ثقته في الله كغيره من الفلاحين وانتظر الموسم بقلب مطمئن . ثم انه لم يحدث في حياته ان تأخر موسم الامطار كما تأخر هذا العام ... في السنين الطيبة كان الموسم يبدأ في تشرين الاول ولا يتأخر عن منتصف تشرين الثاني . اما ان يمر تشرين الاول والثاني وتلحق بهما معظم ايام كانون دون ان يبتل وجه الارض بقطرة ماء

الغزالات

بقلم سليمان موسى

... اما ان يحدث امر كهذا ، فلم يخطر له ولا لسواه من اهل الريف ببال .

لقد انقلب الزمان حقا . كم من السنين يذكر في صباه وفتوته عندما كان هطول الامطار يستمر اياما واياما متواصلة ، عندما كانت جدته وهو صغير تحدثه بتلك القصة التي تتحالف فيها الايام الاخيرة من كانون الاول مع الايام الاولى من كانون الثاني ضد العجوز المسكينة ، فتشعل كل ما ادخرته من الحطب في تلك الليالي القارسة البرد ،واخيرا تضطر الى ان تدفع بمغزلها الخشبي الى النار .مغزلها الذي رافقها السنين



والسنين كان يسمع من هم اكبر منه سنا يقولون : هذا كانون الاصم ، كانون الجبار الحافل بالزعازع والامطار ، والذي لا يطل فيه جار على جار .. لقد انقلب الزمان حقا . ولو انه لم ينقلب لجاد موسم الشتاء بامطاره ولاكتست الهضاب والوديان بالحشائش الخضراء ، ولعاد يسرح مع الغزالات في الشعاب يرقبهن وهن يملأن افواههن بالعشب الطري اللذيذ الطعم ، وقلبه مفعم بالسرور .

واقترب من غزالته الكبرى ، فاستدارت براسها اليه ودفعت انفها نحو يديه ... لعلها تظن انه يحمل اليها شيئا من جريش الكرسنة . وخرجت من فمها اصوات مبحوحة خافتة تشبه الهمس . وفهم الحديث الذي تود ان تنقله اليه . لقد عاشرها منذ ان ولدتها امها قبل سبع سنوات في هذا الخان بالذات . وربت بيده على ظهرها . واخذ يتحسسه شيئا فشيئا من اعلى الكتفين حتى منبت الذيل . وراعه هزالها ونحولها.

واستدار بعد ذلك الى بنتيها ، احداهما في الثالثة وثانيتهما في الثانية من العمر . كل واحدة منهما نسخة طبق الاصل عن امها . كم كان منظرهما في ربيع السنة الماضية يملأ نفسه بالرضى والاعجاب .كثيرا ما كان يقول لنفسه ان الجمال ليس مقصورا على الانسان وهو يتأمل لون غزالة الوردي تتخلله خطوط ناصعة البياض ... ولكن ما جدوى كل هذا وغزالة لا تجد اليوم ما يكفيها من الطعام .

قبل يومين سأل جاره حمدان اذا كان يستطيع ان يبيعه كمية من التبن فاعتذر حمدان اولا بانه لا يملك شيئا يزيد عن حاجة الثور الذي يقتنيه ، ولكنه اضاف بعد قليل قوله : ربما استطعت ان اعطيك كيسا واحدا يا ابا سعيد . ولكن سعر التبن الان ـ كما تعلم ـ صار اكثر بكثير مما كان قبلا ... ولم يلبث ابو سعيد حتى عرف ان حمدان يطلب دينارا

كاملا ثمنا لكيس التبن . وعاد ادراجه الى بيته وهو فى حيرة شديدة من امره . لو استطاع ان يحصل على الدينار وابتاع كيس التبن لما كفى غزالاته الثلاث اكثر من يومين او ثلاثة ايام مع الاقتصاد والتقتير . وماذا بعد ؟ لو وجد التبن ما استطاع ان يجد دينارا كل ثلاثة ايام !

ترى كيف تطيب الحياة اذا صمت السماء اذنيها وحبست مياهها ،واذا لم تمرع الشعاب والوديان بالحشائش والزهور ، واذا باع غزالاته لواحد من اولئك القصابين الملاعين ؟

لقد ورث ارضه عن ابيه انها ارض آبائه واجداده ، منذ مئات السنين كل عام تحمل خيراتها الكثيرة وعطاياها الغالية . قد تجود احيانا وتبخل أحيانا اخرى ، ولكن بخلها لم يبلغ قط ما بلغ هذا العام من عدم كلي ... ان حياته المرتبطة بالارض لا تجد لها معنى اذا ظلت الارض عطشى يقتلها الظمأ واي معنى يكون لها اذا لم يجد قوتا لعائلته وعلفا للغزالات .

بعد اسبوع ذهب ابو سعيد الى السوق وذهبت معه الغزالة الوسطى ذات الثلاث سنوات . ذهب وهو يقدم رجلا ويؤخر الثانية . ولكن لم يكن له فى الامر حيلة . كانت ارادة القدر اقوى من ارادته . وماذا يستطيع ان يفعل غير هذا ؟ ذهب مع غزالة فى الصباح وعاد فى المساء .واشترى بثمنها بضعة ارطال طحين وكيسا من التبن . وعاد الى وقفته بباب الخان يرقب النجوم المتلألئة والسماء الصافية . ويدعو الله ان يشفق على حيواناته العجاف الخرساء .

كان يؤمل ان يكفهر اديم السماء بين ساعة واخرى او بين يوم وليلة ، كما اعتاد ان يرى خلال فصول الشتاء الماضية ، لو حدث ذلك لانفرج الهم وزال الضيق وكثرت الخيرات . لو حدث ذلك لما حرص الناس على اكتناز القمح والتبن خوفا من المستقبل المجهول .

ولكن اليوم الاول مضى وتبعه اليوم الثاني والثالث ... وانقضى اسبوع وذهب ما ابتاعه بثمن الغزالة ،وتحتم عليه ان يبحث من جديد وان يفكر بوسيلة جديدة كي يطعم عياله والغزالتين الباقيتين . لو كان اطعام عائلته هو المشكلة الوحيدة لهان عليه ان يستدين ولكن كيف يستدين التبن وقد صار اكثر ندرة من القمح واثمن من الطحين ؟

وباع العجلة الصغيرة وقلبه يتمزق واحشاؤه تتلوى . لقد بدا اليأس الحقيقي يدب في نفسه ويكاد يستولي عليه . لو انه اصغى لصوت عقله لباع امها معها ، ولكن قلبه لم يطع عقله ، لقد تمرد وابى ان يخضع او يستسلم . اليس معنى الاستسلام انه فقد خيط الرجاء الاخير الذي يربطه بالمستقبل ؟ وكيف يبيعهما دفعة واحدة ويقطع صلته بماضيه ومستقبله على حين غرة ؟

لم يكن يائسا بعد من رحمة الله . وحدثه قلبه ان الله الذي فجعه بالاولى والثانية ارحم من ان يفجعه بالثالثة ، حدثه قلبه ان الفرج سيأتيه من حيث لا يحتسب ووجد عزاء مريرا فى انه ليس الوحيد ممن قسرهم المصاب على بيع ابقارهم العزيزة .

فى الليلة الثالثة افاقت ام سعيد بعد منتصف الليل على صوت الريح تزار خارج البيت ، ثم بلغ اسماعها صوت سقوط المطر على السطح .. وانصتت جيدا كأنها لا تصدق حواسها .. انه المطر حقا .. بالرحمة الله التي ادركت الناس قبل فوات الاوان . ومدت يدها فرفعت فتيل السراج قريبا ورنت ببصرها نحو فراش اولادها ثم فراش ابي سعيد. كان الاولاد يستغرقون فى نومهم والهدوء والوداعة تجلل محيا كل واحد منهم . ولكن ابو سعيد لم يكن فى فراشه .

كانت تعلم انه كثيرا ما ينهض خلال الليل ليتفقد غزالة بعد ان فقدت بنتيها . وانتظرت عودته بعض الوقت ثم نهضت ولفت نفسها بردائها ودلفت الى الخان المجاور لبيتهم .

لم تدهش ام سعيد عندما شاهدت زوجها متكئا الى جانب المذود وقد استسلم للنوم ووجهه لا يكاد يبين من طرف عباءته . وكانت غزالة جاثمة الى جانبه تجتر طعامها على مهل ... وايقظت ام سعيد زوجها واللهفة تبدو في نبرات صوتها. ونقلت اليه النبأ فى كلمات مقتضبة بسيطة .

واسرع ابو سعيد الى باب الخان فوقف لحظة ومد ذراعه وهو يبسط راحة يده كي يتلمس قطرات الماء الباردة ، ورفع راسه الى السماء المتلبدة بالغيوم وتنفس الصعداء ولم يزد على ان قال : الحمد لله الحمد لله .

عمان **سليمان موسى**

دار

⊙

وقفت اسأل عن صحبي وخلاني — دارا نزلت بها من بعد هجران
فما استبانت ندائي حين دعوتها — كأنها لم تكن يوما لترعاني
ازهارها من دموع العين قد سقيت — ووردها .. من دمي القاني وشرياني
وجوها الدافيء السحري من املي — وعطرها الناعم الشعري ريحاني
وطيرها ان شدت يوما مغردة — فالشعر شعري وذاك السجع الحاني
وماؤها السلسبيل العذب والهفي — فجرته من اعاصيري وبركاني
عاما قضينا بها والجمع مؤتلف — ما بين صحب معاميد وندمان
واليوم وحدي وقفت الصبح اسألها — فلم تجبني وصمت الموت ابكاني

يا دار اين بنوك الراحلون ترى ؟ — هل خلفوك الى مقت واحزان ؟
ترثين ما حل بالجنات بعدهم — وتندبين رياض السرو والبان
بالامس جئتك والاضواء مشرقة — واليوم اظلم من رؤياك وجداني
فكل ما فيك اكفان ممزقة — من ياسمين ومنثور واغصان
لم يبق منك سوى اطلال افئدة — تبكي على قبرها اطلال ازمان

يا ويح نفسي ... وآه غير مجدية — أأسأل البوم ام ارنو لغربان ؟
ومشرق الشمس قدما كان يرمقني — ليعلم السر عن اخبار اكوان
تبدل الدهر مذ دار الزمان بنا — وحطم اليم مينائي وشطآني
فان سمعت فاذني غير مصغية — وان نظرت فطرفي ذاهل عان
وان نطقت فآهات اصعدها — تحز في خاطري حزا وجثماني

اعوذ بالله بارينا وخالقنا — اللفناء خيالاتي وألواني ؟
وقد بنيت قصورا ... كلها امل — ستمحي وسيمحى بعدها الباني
وتنطوي صفحة الاعمار كالحة — طي السراب على بؤس واشجان ؟
.. واذ بصوت يناديني . .عرفت به — صوت الضمير .. تجلى فيه ايماني
الكون يفنى.. ويبقى وحده .. وله — هذي البرايا ..فلا تأسف .. وعزاني

حمص — **عبدو مسوح**

سامي الكيالي

بقلم نظير زيتون

انــه داعية من دعاة التجديد والاصلاح والنقد .
وانه رائد من رواد النهضة الاجتماعية والفكرية والقومية وانه فاتح من الفاتحين في ميادين الصحافة والادب والتاريخ .

وقد تخاله ، ان سعيت الى اثاره فى دنيا القلم ، شيخا ينيف على الثمانين وقد رقدت على راسه فلاة دكناء جرداء، فى اطار جليل من نثير الثلوج البيضاء ، وغاض فى محياه رقراق النضارة الصهباء ، وامحن فى الخريف والتحريف ، فخبا الشعاع فى المحجر الرهيف ، واذا قصر الشباب المنيف، طلل لهيف . وظل اسيف ...

ولكن سامي الكيالي ، نسأ الله فى حياته ، ليس بشيخ ارقام واعوام ، وانما هو شيخ صحائف واقلام ، ومعارف وطرائف . وروائع وبدائع ، تجلى فيها الفكر فجرا ، والادب خمرا ، والمعرفة بحرا ، والديباجة تبرا ، الى حصافة ورصانة ، والمعية وفطانة .

نعم ، قد توحي اليك مجلدات مجلته (الحديث) الاثنان والثلاثون ، ومؤلفاته المطبوعة التي تجاوز العشرين ، انه شيخ طاعن فى السنين ، والصحيح ان شمس حياته لـم تتكبد سماء الكهولة ولا مالت الى الغروب ، ولعلك اذا حدقت اليه وتأملته ، تحار ولا تدري اعينه اكبر من سنه ام سنه اكبر من عينه ، اذ تلمح فيه مسحة من ريق الشباب الريان ، وومضة تترجح بين العين والجنان .

ولا عجب ، فقد نبغ غضا غضيرا ، وليس الحداثة عن حلم بمانعة كما قال سيد الشعراء ، ذلك ان النبوغ الاصيل، كثيرا ما يسبق جناه وعطاؤه ربيعه ، فيطل مع الشتاء فى زحمة العواصف والزمهرير القارس ، والشآبيب والظلام الدامس ، وكأن في صميم عناصره لهبا يشق غلاف الزمن ، فتتفتح اكمام ازاهيره ويؤتى ثماره يانعة شهية ، قبل ان تطبع الشمس على وجه الارض قبلتها الحارة الوفية ، وقبل ان توقظها من هجعة الشتاء الدجية ، وقبل ان تخلع عليها غلائلها البيضاء السنية ، وتنسج لها بشعاعها الدافىء الحنون حللها السندسية .

وعلينا فوق كل هذا ان نعترف بفضل البيئة المنزلية فى تقويم هذا النبوغ وصقله ، فقد تفتحت عينا سامي الكيالي على بيت عريق علما وادبا وسراوة . اذ نشأ فى ظلال الكتب والنهاوة على سجعات الادباء . والمؤلفين العلماء . واغاريد الشعراء . وشقشقة الفصحاء البلغاء . وعب من ينابيع المعرفة ما طاب له الارتواء ، وكانت له بدل المدرسة مدرستان ، وعوض النعمة نعمتان ، ولا جدال فى ان المدرسة البيتية الصالحة ، هي الجذر الذي تنبت عليه الاغصان ، وهي الاصل الذي تبنى عليه الاركان . فاذا استقام واستوى تألق النبوغ ، وتحتم البزوغ ، بمقدار ما فى النفس من ملكات ، وما فى الجوانح من نبضات وخلجات ، وما فى الذهن من لمعات وومضات .

وصعب علينا ايضا ان نتحدث عن سامي الكيالي ، ولا نشير الى بيئته الجغرافية ، الى « المدينة التي رضع لبانها وشم طيب هوائها وترعرع تحت سمائها ، وعاش حياته فى ربوعها » كما قال فى كتابه النفيس (الحركة الادبية فى حلب) .

عسير علينا ان نذكر سامي الكيالي ولا نشير الى حلب الشهباء عاصمة الحمدانيين ، ومدينة سيف الدولة وابي فراس والمتنبي ، مدينة رواد اللغة العربية والنهضة الادبية فى مطلع القرن التاسع عشر ، امثال رزق الله حسون والمطران جرمانس فرحات وفرنسيس مراش وعبد الرحمن الكواكبي ومريانا مراش وجبرائيل الدلال وسواهم من الرواد والاعلام الذين سطعوا فى سماء الضاد ، قبل أن يهز البعث الادبي ، بلدا عربيا اخر .

فى الشهباء مدينة البطولات والمكرمات ، وكعبة الفنون الموسيقية والشعر ، والجمال ، والرؤى والسحر . رأى سامي الكيالي النور ، ونشأ وترعرع واستوى ، فطبعته بطابعها ، وخلعت عليه من بدائعها ، وسقته من مشارعها ، وزودته من طبائعها ، فكان له ذلك القلم الرهيف المندل ، وذلك الادب العميق المتأمل ، وتلك الشعلة الضافية الانوار والالوان ، الجلجلة الاصوات والالحان ، وتلك اليقظة التواقة الى العاصفة القدسية البحثية . والكلمة النيرة الانسانية ، بل كان سامي الكيالي تلك الموهبة الباذخة الفياضة التي شذبتها وصقلتها ثلاث بيئات نقية هي البيئة المنزلية ، والبيئة المدرسية ، والبيئة الاجتماعية الجغرافية ، فزكت وامرعت . وصفت وابدعت .

والحديث عن سامي الكيالي ، اذا شئنا ، مطولا مفصلا ، يطول ويطول ، وخصوصا اذا المنا بما صنف والف ،وحقق ودقق ، وكتب واطنب ، حيث نلقي الصحفي والاديب والاجتماعي والمؤرخ والعالم والناقد الدارس ، مما نـراه جليا متألقا فى كل اثاره الادبية والفكرية ، واتجاهاته الاجتماعية الجريئة التجددية ، غير ان المقام ضيق محدود، ما دام الموضوع قاصرا على تقديم كتابه الجديد ــ صراع فى القومية العربية .

ولا تظنن قبل ان تتصفح هذا الكتاب ، وتتنقل فى فصوله، وتجوب في حقوله ، وترافق الكاتب الالمعي في صولاته وجولاته ، وصيحاته ولفتاته ، نعم ، لا تظنن انك ستسمع من خلال هذه المقالات صدى صوت السياسي او الداعية الحزبي ، لا . هذا الصوت لن تسمعه ، وانما ستسمع هدرة العربي القومي المؤمن بوطنه الابي النهي ، ايمانه بالله العظيم

* من مقدمة كتاب يصدر قريبا بعنوان « صراع فى سبيل القومية العربية» تأليف سامي الكيالي .

العلي ، فسامي الكيالي ، كما عرفته ، ليس بسياسي او حزبي ، ولكنه قومي عربي ، وما كانت العروبة وبالتالي القومية العربية ، حزبا سياسيا مجلوبا ، وبرنامجا مكتوبا ، وحرفا مسكوبا ، وانما هي في الاوطان العربية ، انبثاق طبيعي كلي من وحدة روحية كاملة تأصلت جذورها في احشاء الوجود . وانما هي صيحة الحياة والحرية والانسانية . وانما هي جغرافية وتاريخ ولغة وحضارة ورسالة ، وانما هي الانصهار فى لهب التعايش المقدس والمصير الواحد . التعايش الوثيق العرى العميق الجذور ، السديد المنازع والمثل العليا . فى ايمان وبطولات ، وفتوحات ومروءات .

ولست ازعم ان سامي الكيالي درس في مقالاته القومية قضايانا الوطنية دراسة شاملة كلية ، فهو كما قلت ليس بسياسي ، او اديب سياسي ، ولكن بعض المناسبات والاحداث الوطنية ، وبينها ما يثلج الصدر ، وما يقوس الظهر ، وبينها ما يملأ النفس فخرة ، وما يدق القلب حسرة ، كانت تستفز خاطره وشعوره ، فتجري على يراعه ، طورا عبرات غاضبات ، وتارة ابتسامات مشرقات ، واخرى رموزا واشارات ملتهبات .

ويمهد سامي الكيالي لمقالاته القومية فيتساءل مستنكرا ادب اللامبالاة امام الواقع الوطني ويقول : كثيرا ما يتساءل رجل الفكر فى هذه اللحظات العصيبة التي يمر بها العالم العربي — كثيرا ما يتساءل : هل يستطيع الاديب ان ينفصل عن واقعه (اي واقع امته) ليتحدث فى شؤون الفكر — فيما يتصل بالادب والاجتماع والفلسفة وبكل ما يمس التوف الفكري ؟

ولا يلبث اديبنا البحاثة ان يجيب بالنفي زاجرا « لا .. وهذا ما يقول به كل اديب حر يتفاعل مع واقعه ، ويتجاوب مع المثل العليا بين قومية وحضارية وانسانية » ثم يتابع قائلا :

« اذن ، فلتكن كلمتنا فى ما يشغل البال ويضطرب له الفكر ... فيما يدبره القراصنة الغزاة من مؤامرات دنيئة للقضاء على القومية العربية » وقد صدق الكاتب واصاب كل الاصابة .

فعندنا ان شؤون الفكر من ادب واجتماع وفلسفة ، يجب ان تتصل اتصالا وثيقا بواقعنا القومي ، فى مده وجزره ، في تلفتاته واتجاهاته ، في الامه وآماله ، في عثراته ووثباته ، فى حقائقه واوهامه ، والا كان الفكر كتلك الطفيليات التي تعيش على هامش الحياة ، لا جذور لها في الارض ، ولا عطاء ، او كذلك الهارب من مجتمعه ودمه وانسانيته ، مطمئنا الى احاسيس انانيته العمياء البكماء ، فى برج من العاج وسلم في الجو . او كذلك الجندي الذي فر من المعركة ورمى سلاحه ومزق ثوبه العسكري ، ليناجي حبيبته فى القمر ، وفي الزهر وفي لوحة فن ، وقصيدة شعر ، سافرة او ذات خمار اسود ، يناجيها مستنوقا ، فلا تشنف مسامعه صيحات البطولة واناشيد النضال . ولا تكتحل ابصاره بجراح العزة وانتفاضات المجد ، ولا تبتهج يداه وجوارحه بطعن التنين وعناق البعث .

وهل كانت الثورات والحريات والفتوحات السياسية والاجتماعية والعمرانية والانسانية غير ثمرة من ثمار الفكر، من ثمار الادب والاجتماع والفلسفة ؟

الم يكن الادب — فى عالمنا العربي ، كما كان فى الغرب ، رائد الحركات القومية والسياسية والتقدمية والتحررية ؟ هل كان لزعماء السياسة ان يقودوا الجماهير ، لو لم يسيروا في اضواء الادب ، اضواء الادب القومي الذي مهد لهم الطريق بما ايقظ من نفوس هاجعة ، وبما هز من عزائم مسترخية ، وبما أثار من حماسات وحميات وبطولات .

ونحن اذا قلنا بان فتوحاتنا فى مضامير الحرية والكرامة الوطنية والانتفاضات السياسية والتحررية والتقدمية ، والاصلاحات الاجتماعية والعمرانية والتشريعية ، نحن اذا قلنا بان هذه الفتوحات والانتفاضات والاصلاحات هي من نسج اقلام المفكرين والادباء ، ادباء الحرية والقومية والانسانية ، فلا نظلم السياسيين ولا نتحامل عليهم . لقد كانوا الصدى ، ولم يكونوا الصوت . وكانوا الوتر ، ولم يكونوا النغم ، وكانوا الجسد ، ولم يكونوا الروح ...

فالادب النضالي او الادب المنبثق من صميم الحياة والمجتمع والامة والمثل العليا ، هو الذي اوحى بالمعركة ، وهو الذي رسم حركاتها وخطوطها ، وهو الذي هيأ لها الجنود واذكى نيرانها ، واشرع بنودها ، وهو الذي تلظى بسعيرها وكان وقودها ، وهو الذي اخذ على نفسه المضي بها فى سبيل النصر ، بينما كان السياسيون وجلهم انتهازيون ووصوليون يتطمعون ويترقبون المناصب والمكاسب ، او يتهافتون ويأتمرون ويتآمرون ... ثم ينهض الادب ليبني ما هدمته السياسة ...

وما اشبه هذا الادب العظيم المعطاء ، هذا الادب الصوفي العملاق ، المنزه عن الاهواء والادواء ، ما اشبهه فى معركة الامة ، في معركة البحث والتحرر بالجندي المجهول ... انه يعطي من عقله وقلبه ولا يشكر ، وتلفه النار المقدسة بالسنتها الجائعة ، ولا يذكر ...

ويسترعي اديب الشهباء الكبير سامي الكيالي انتباه القارىء فى مقاله الرصين (رجل قاد امة الى المجد) فيطالعه بما يستحق من عناية ، ولكن هذا القارىء لا يلبث ان ينسل منه عبارة ويخصها بكثير من التأمل والدرس وهي (ولا يزال الباحثون فى حيرة عما اذا كان الرجل هو الذي يخلق الامة ام الامة هي التي تساعد على تكوين نهضات الامم) .

واول ما نلحظه ان طبيعة السؤال تقتضي ان نقول بلسان هؤلاء الباحثين الحائرين : هل الرجل هو الذي يخلق الامة ام الامة هي التي تخلق الرجل ؟

ولا جدال ان الباحثين الاخرين يتساءلون ايضا — هل المهندس هو الذي يخلق الحجارة ، ام الحجارة هي التي

تخلق المهندس ؟

والمنطق يدلنا على انه لولا المهندس لما كان للحجارة شأن في فن عبقري معماري . فهو الروح والحجارة الجسد اي المظهر الفني العبقري الذي تتجسد فيه مواهب المهندس .

والمهندس في هذا الموقف هو الشعب، والحجارة التي تتألف منها صروحه الباذخة الشامخة تمثل خصائصه وميزاته ودقائق اتجاهاته ، فهي بالتالي مرآة حضارته النفسية ومدى فهمه للحياة وبطولاتها .

والمهندس المصمم (الشعب) يحتاج حتما في بناء الصروح الى (معلمين) يشرفون على العمل المعماري ولهؤلاء فضل (القادة) لا فضل المهندس المصمم الخلاق . وهم يرتفعون احيانا الى مرتبة البطولة ، اذا تقيدوا بتصميم المهندس . اما اذا انحرفوا ، فلا شك ان البناء ينهار فوق رؤوسهم ولنا في التاريخ الوف العبر .

ونحن اذا انعمنا النظر في التاريخ البشري ، وفي كل ما رواه ودونه من الغرائب والعجائب، وفي كل ما مر به الانسان من التجارب، وكل ما خاضه من المعارك واصطبغ به من المذاهب، اذا تأملنا في كل ما ترشفه من خمور الامجاد ، وما تقياه من سموم الاحقاد ، فاننا لا نقع على رجل واحد ـ بلغ من شأنه ما بلغ ـ استطاع ان يخلق امة ، ولكننا نقع على مئات ومئات خلقتهم اممهم ونصبتهم ابطالا واشباه آلهة ...

مثلا ـ لولا الروح القومية الابية تجيش في صدر الشعب، لما استطاع انبغ القادة ، واعظم الزعماء ، ان يحرر هذا الشعب من اساره، ويسير به في معارج عزته وفخاره .

والقائد او الزعيم في مثل هذه الحالة انما يشبه الآلة الموسيقية التي يعزف عليها الشعب اناشيده وانغامه، آلامه واحلامه، اي ان الشعب هو المؤلف وهو المبدع، وهو الروح، وما المعزف سوى صدى ذلك التأليف وذلك الابداع، وذلك الروح، وهنا تكمن المواهب الخلاقة ، بل هنا يكمن سر الشعب الخلاق .

قديما ، اراد موسى الكليم ان يحرر اليهود من عبودية فرعون، فهرب بهم من وادي النيل الخصيب، الى طور سينين الجديب، موليا وجهه شطر فلسطين، ولكن ما ان توسط صحراء سيناء واستقر قليلا حتى اخذ اليهود يتذمرون من شظف العيش ويتنكرون لموسى، كانوا يؤثرون العودة الى مصر عبيدا، فهناك يلقون ما يسد جوعهم . وهناك ينامون آمنين في دورهم . ولقد ضجوا وثاروا على قائدهم موسى الذي حاول ن ينقذهم ويفتح لهم بلادا تدر لبنا وعسلا ، ولكنهم رفضوا الحياة الحرة الابية تتخللها بعض الشدة العابرة . وآثروا حياة العبودية مع امتلاء البطون ...

ولما يئس موسى من دخول فلسطين بهؤلاء العبيد، مكث في برية سيناء اربعين عاما يتوه بهم من مكان الى اخر ، حتى ينقرض العبيد وينشأ جيل جديد . ولكنه لقي وجه ربه قبل ان تتحقق امنيته ...

وعلينا ان لا ننسى ما لموسى الكليم من مكانة وكرامة ورسالة مع هذا اخفق كل الاخفاق في خلق شعب حر . ذلك ان التجاوب بينه وبينهم كان مفقودا . كانت انغامه غير انغامهم، واحلامه غير احلامهم . كانوا يزحفون على بطونهم فوق سطح الغبراء ، وكان يحلق بجناحيه الى العلياء .

وقصة موسى القديمة تتكرر في كل عصر بمظاهر شتى وبمفارقات متباينة بين شعب ينشد الكرامة والحرية ، وقائد يعفر وجهه في حمأة الاستكانة والعبودية ، اما اتاكم حديث الدكتور مصدق في ايران ؟ ولكن كم ولد الاباء العبيد احرارا ، وكم من قائد حكموا عليه بالخيانة ، فرفعه الابناء الاحرار الى مصاف الابطال الابرار .

فعلينا اذن ان نؤمن دائما بالشعب وبقدرته على اجتراح المعجزات، وايماننا به يعني ايماننا بانفسنا وبقوانا وطاقاتنا الابداعية اللامتناهية ، والا كنا « اتكاليين » غير اهل للحياة.

ويسرد لنا سامي الكيالي بقلمه الثر، واسلوبه الاغر ، لمحات من قضايانا ومآسينا العربية ، ويرسم لوحات رائعة لنضال شعوبنا الابية الوفية ، فنقف امامها معتزين معتدين، انه رسام بارع، يغمس ريشته طورا في نار مشبوبة في حنايا الضلوع، وتارة في مآق تسبح بالدموع، واخرى في دماء تتلظى كالشموع . ثم يمضي بك على اجنحة من سحر الكلمة لتسمع انشودة الامل في فم الربيع السجوع، او شهقة الاسى في القلب المفجوع، او صرخة الظمأ تسفع حنجرة الينبوع، او قعقعة المجد بين السيوف والدروع ...

هذا كله تلقاه في مااستعرضه من الاحداث الوطنية التي لمت فيها جراح ابيات، صداحات متهللات، واينعت آمال مشرقات باذخات، او تلك التي طعنت كبرياءنا القومية بخناجر المؤامرات والخيانات، واغتالت امجادنا ولغت في دمائنا .

ولنبك دما قانيا عندما نذكر فلسطين ومعارك فلسطين ونكبة العرب في فلسطين .

ولننحن خشعا، بل لنركع تكريما لدماء البطولة العربية التي هدرها الافك والمكر واللؤم في فلسطين .

ولنطرق خجلا امام ارواح اولئك الشهداء الابرار الذين سالت دماؤهم انوارا في صفحات نضالنا القومي في فلسطين، فما ثأرنا، ولا غضبنا، ولا انتقمنا من اليد السوداء المغموسة بدمائهم الزكية .

ويروي لنا سامي الكيالي بقلمه المشبوب بعض ملامح المأساة الفلسطينية في مقاله الغاضب الثائر : (المحنة الرهيبة) ثم يتساءل كاسفا مكفهرا، ابيا حميا فيقول: فما هو موقف العرب من هذه النكبة الكبرى ؟ انكتفي بالعويل والصراخ، وبالمظاهرات والاحتجاجات، وبالجلسات السرية والاجتماعات العلنية ، يعقدها الملوك والرؤساء ، ثم بتوزيع الاتهامات على هذا وذاك ؟

ولا يلبث ان يستفسر قومه ويخاطبهم مؤمنا « ان في عنق

كل عربي واجبا مقدسا للعمل، اريد البذل والتضحية بالمال والانفس ، لانقاذ هذه البقعة المقدسة من الصهيونيين المجرمين، فمنظر الضيوف الفلسطينيين الذين لجأوا الى ديار العرب ليدمي كل قلب، ولن يهدأ لنا بال ما لم يعودوا الى بلادهم مكرمين وقد طردوا هذه الحثالات ... »

ونحن اذا لم نر فى هذا السفر التاريخي القومي البليغ ايديا متشابكة وصدورا متدافعة ، واقداما كرارة واجسادا متطاحنة ، وعثيرا يحجب الشمس، واذا لم تقع ابصارناعلى اولئك المضللين الذين عبثوا بشعوبهم فما اقاموا لها وزنا، وآثروا مصالحهم ومكاسبهم، فانها تقع فى هذا الكتاب على صدق يملأ القلب، وعلى ايمان يخمر الصدر ، وعلى عزيمة تهز الجوانح . بلى، وتقع ايضا على عين دنون ساهرة،ثاقبة زاجرة ، وعلى فكر اصيل الومضات ، عميق اللفتات ، وعلى خلجات مشرقات معتدلات . وعلى آيات متفاوحات مستنفرات .

وكان الكاتب الحصيف الجليل، صريحا جريئا فىمعالجته لقضايانا القومية وعثراتنا السياسية ، ولقد كنا بأمن من هذه العثرات، لولا « تخاذل الزعامات الخاوية ذات الاثواب المهلهلة واهتمامها بالغرض دون الجوهر، وبالقشور دون اللباب » كما قال الكاتب الالمعي، ولولا ان تولى قيادتنا « زعماء أكثرهم من الساسة المحترفين ومن الوصوليين الجشعين » كما صرح ايضا .

غير ان العهد الجديد، سد الابواب فى وجوه هذهالزعامات الخاوية المهلهلة ، وهؤلاء الساسة المحترفين الوصوليين الجشعين، وهم مصدر الشقاء والبلاء ، وقضى علىالمساومات والمداورات وقطع دابرها، فلتطمئن النفوس بعد اليوم ...

وييأس الكاتب البحاثة من ساسة الرعيل الاول والمخضرمين، فلا يلبث ان يستنفر الشباب ويناديهم قائلا : « ايها الشباب ان فى عنقكم واجبا مقدسا وهو ان تعملوا بروح جديدة ، وبنزعة حرة ، وبتفكير يختلف كل الاختلاف عن تفكير « محترفي السياسة » . أيها الشباب : انتم الامل المعقود عليه الرجاء فى هذه الازمة العصيبة التي تجتازها الامة العربية فى هذه الفترة من تاريخها الحديث » .

هذه الصرخة اطلقها الكاتب المفضال منذ عشر سنوات على اثر نكبة فلسطين، وكان بعيد النظر صادق الفراسة ، عميق الفكر، اذ تحقق ما كان يصبو ونصبو اليه»، فالشباب او الروح الجديدة ، والعقلية الجديدة ، هو الذي يقود اليوم خطانا فى سبيل الحياة الحرة، واننا به لمؤمنون .

ويرى صديقنا واخونا سامي الكيالي انامورنا لا تستقيم الا اذا اعتمدنا على «الايمان بفلسفة القوة ، لتكتب لنا الحياة الحرة والسيادة المطلقة ـ علينا ان نصطنع مبدأ القوة فى الحياة » .

هذه واحدة ، واخرى « اننا اليوم فى اشد الحاجة الى نفسية ذلك البدوي المغامر الذي افتتح الدنيا بصدق عزيمته وقوة ايمانه ، والشباب مدعوون للكفاح بنفس تلك العزيمة وذلك الايمان، ومدعوون لان يلعبوا نفس الدور الذي لعبه اجدادهم فى الماضي ... »

وقد اصاب كل الاصابة ، فكما نؤمن بحقنا في الحياة الحرة الكريمة ، وكما نؤمن بانسانيتنا التي نستمد منها قوميتنا، يجب ان نؤمن بالقوة لصيانة حقنا الطبيعي في الحياة . وبالتالي انسانيتنا وقوميتنا . ولنا في ذلك « البدوي » الذي حمل رسالة العروبة الى اقاصي الارض، فاتحا هاديا منشئا، باسطا لواء العدل والعرفان والحضارة، مثلنا الملهم الذي نأتم به ...

وبعد ، ففي الدراسات والبحوث والنظرات التي تألقت فى هذا الكتاب ، اصالة في معالجة الموضوعات وانتفاضة ابية حرة لا تهزها الصدمات والعقبات، وايمان راسخ بالقومية العربية ومزاياها الفريدات، ورزانة فى التعبير عن العثرات والاماني الجائعات، والامال المزدهرات .

فيه فكر يلمع، وقلب ينبض، ويد ترسم وتخطط،وبراعة مطواع تفيض رشادا وسدادا، فاذا الحرف عبهري، واذا الصراع ـ صراعنا ـ عبقري .

وحسبك يا اخي من التهنئة والكتاب والثواب انك اسهمت فى يقظة الشباب، وفى معركة التحرر الوثاب ، وحسبنا ايضا وحسبنا ان امتنا العربية مزقت الحجاب . وذللت الصعاب . وها هي تجني ثمار الغلاب . وتردالمناهل العذاب، على مطهمات العزائم العراب، بين اهازيج الحراب، وزغاريد اللهاب ...

نزيل حمص

نظير زيتون

اغنية للموعد الدافىء

⊙

الى « س » ومواعيد الصيف المنصرم فى ريفنا المصري

⊙

محمـــد مهـران السيـــد

القاهـــرة

⊙

.. والتقينـــا
بعد ان ذبنا اشتياقا ، واكتوينا ..
.. كان شهرا .. مر كالعام .. علينا
يشهد الليل .. بأنا
كم قلقنا ،
واحترقنـــا ،
وسهرنا .. نتمنى ..

ليلة فى اثر اخرى .. يطلع البدر علينا
ــ ثم يمضي مطمئنا ــ
.. ما عرفنا النوم فيها ، او غفونا
نتعزى بخطابات لدينا
احرف ، ترشح عطرا .. تتغنى
وسطور كصفوف الورد .. وسنى
عذبة الايقاع ، فيها الف معنى
كل ما قلنا قديما .. وحكينا
كل ما دار ، وما لم يبد منا
.. كلما نحن التقينا ..

ثم ها نحن التقينا
بعد ان ذبنا اشتياقا ، والتياعا ... واكتوينا
فاذا بالدم يكسو وجنتينا
.. وابتسمنـــا
وادرنا خاتمينا
.. كان صمتا ينضح الشوق .. لدينـــا
رائعا كالحب ، كالنور الذي ينشد امنا
كقصيد .. شائق اللحن ... يغنى
لحظة زرقاء عشناها ، ورفت فى يدينـــا
ساقها الحب الينـــا
فاستحالت فرحة فى مقلتينا
واضاءت مهجتينا
فسكرنا
وانتشينـــا
برهة .. ثم انتبهنا
وسؤال حائر فى نظرتينا
كيف غبنـــا ..
.. اين حلقنا ، وكنا ؟ !

لا تقولي كلما نحن غشينا
هذه البقعة صبحا وافترشنا
عشبها المثقل .. بالطل ورحنا
نرسم الدرب ونعلى ما بنينـــا
وانشغلنا ..
لا تقولي ، ينظر الناس الينا ! .
ما علينا ..
لو اشاروا .. ما علينـــا
نحن ادرى بالذي في خافقينا
والذي يقتات .. منـــا
والذي قد قيل عنـــا
.. فكثيرا ما سمعنا .. ورأينا
غير انا ..
قد صبرنا .. واحتملنا
.. وانتصرنا .

كان البحر قديما يغطي جزءا كبيرا من جبال لبنان الممتدة من سواحل بيروت الى مدينة جبيل، القديمة قدم الانسان، ثم يتدرج بالارتفاع حتى يغمر سفح جبل صنين، وكان يسمى قديما « جبل الالهام » ولكن بفعل العوامل الطبيعية، وحدوث الزلازل والبراكين بكثرة في تلك المنطقة الجبلية، قد انشق كثير من الاراضي الصخرية، وبرزت بعض الجبال، فارتد البحر عنها، وانحصر فيمكانه الحالي، بعد ان خلف وراءه كثيرا من الاثار المتحجرة التي ما فتئت تشاهد في البقعة التي تمتد من نهر الكلب حتى جرود كسروان .

كان يقيم في منطقة منزوية في مقاطعة جبل الالهام، زعيم ديني مشهور اسمه « اوفيدس » وكان عزيز الجانب، مسموع الكلمة، غزير العلم، محبا للسلام، غير انه كان يشعر في داخله عندما يخلو الى نفسه انه حزين، وكان سر حزنه تلك الغارات التي كثيرا ما كان يشنها اشراف المقاطعات اللبنانية القديمة بعضهم على بعض، لاتفه الاسباب، الى ان ضعفت قوتهم، وتفرقت كلمتهم، وتمزق شملهم، وانفرط عقد وحدتهم، فوقعوا فريسة في براثن العدو الاجنبي الدخيل الذي تمكن من بسط نفوذه عليهم ردحا طويلا من الزمان .

وفي ذات يوم اولم « اوفيدس » وليمة، دعا اليها جميع اشراف تلك المقاطعات، وطلب منهم ان يكفوا عن تلك الاعتداءات كي يعيشوا بسلام .

اقتنع اولئك الاشراف بفكرة « اوفيدس » وسلموا بنظريته واستجابوا لندائه، فعاشوا بامان سعداء، انما « اوفيدس » نفسه فقد ظل فريسة لما يساوره من

* من كتاب اساطير وحكايات من لبنان تحت الطبع .

اشجان واحزان، حتى بلغت به الحال الى انه لم يعد يطق المكث في قصره المنيف المشيد فوق مرتفع من الارض يطل على البحر الذي تصطبغ مياهه باللون الاحمر القاني عند تقابلها بنهر « ادونيس » بما يحمله معه من تراب في اثناء انحداره من اعالي الجبال .

قام « اوفيدس » خارجا الى غابات الارز المشهورة التي كانت تكسو في الماضي جميع ربى لبنان ليفرج عن نفسه، وليزيل الكآبة الجاثمة فوق صدره، ولما توغل فيها ادركه التعب، فجلس فوق ربوة وشتها زهور الربيع المتعددة الاشكال والالوان، بين اصفر فاقع، وابيض ناصع، واحمر قان، واخضر فاتح،



بقلم ميشيل سليم يمين

يترنم بصوته الحزين، وهو ينظر الى « جبل الالهام » من بعيد وكانت الطبيعة قد كفنته بطبقة كثيفة من الثلج، ويحاول ان يصرف عن ذهنه الكآبة التي كانت تعانق فؤاده، فوقع نظره فجأة على ظبي اشهب اللون يعدو غير بعيد منه بخفة ورشاقة، فقام من مكانه وجرى وراءه، احس الظبي بالمطاردة، فاسرع يلتمس النجاة في مغارة، فاقتفى « اوفيدس » اثره، وظل يتعقبه فيها حتى غاب عن بصره من شدة الظلام، فآثر العودة الى قصره المنيف وهو في شبه ذهول مما رأى يفكر في صمت، ويتأمل في حزن، الى ان طلع القمر



وغمر الكون بنوره الفضي، فاستراح قلبه لهذا المنظر، وادرك انه مقبل على مفاجأة قد تنقشع بعدها اشجانه، وتزول الامه واحزانه، ولما اشرف على غابة صغيرة ملأى باشجار الدلب والحور والسرو والسنديان القديم الايام، تتخللها اكواخ بدائية البنيان، وقف بباب اول كوخ منها، فرأى قوما جالسين القرفصاء، حول نار مشبوبة يتمتمون بكلام غير مفهوم، فراعه منظرهم، وسرت رعدة في جسمه من الخوف، وتمثلت في خياله صور شتى بشأن وجوهم في هذا المكان المقفر الموحش، فلما وقع نظر القوم على « اوفيدس » ادركوا من مظهره انه سيد مهيب، فوقفوا له اجلالا واحتراما فقال رئيسهم :

ـ مرحبا بالسيد الكريم .

فرد « اوفيدس » على تحيته بابتسامة مصطنعة لم يعقبها كلام، فنظر اليه رئيسهم ثانية وقال :

ـ لقد حللت بيننا على الرحب والسعة ايها السيد الكريم، يلوح من منظرك انك متعب مكدود، تفضل وادخل وخذ قسطك من الراحة في كوخنا، الست انت زعيم مقاطعة « جبل الالهام » ؟

اجاب « اوفيدس » وقد اعاد هذا الترحيب الطمأنينة الى قلبه وقال : اجل، كنت اتريض في الغابة المجاورة فوقع نظري على ظبي اشهب، فطاردته، حتى طالت مطاردتي له، ولكنه افلت مني واختفى في مغارة وراء الكثبان سمعت لهادويا يصم الاذان .

عندما سمع هؤلاء القوم هذا الكلام الغريب، اطرقوا برؤوسهم الى الارض، يفكرون، ويحاولون ان يجدوا تفسيرا لهذا الحديث العجيب ثم رفع كبيرهم « ناتان » رأسه وقال :

ـ نحن سحرة هذه الغابة، ونعرف كل شيء عنها وما خفى من اسرارها، ولكننا لم نسمع بخبر المغارة التي حدثتنا عنها، واغلب الظن ان الدوي

الذي تحدثه ، هو بلا شك من عمل الجان القائم بخدمة سيدنا سليمان، وارى ان تقضي ليلتك بيننا ، فنأنس بك ونتسلى بحديثك ، وعند الصباح نتوجه الى الغابة معا لاكتشاف سر المغارة .

قضى « اوفيدس » ليلته مع هؤلاء السحرة يحدثهم ويحدثونه ،وعند الفجر شدوا الرحال الى الغابة ، وبعد مسير ساعات وساعات بلغوا المكان المقصود ،فاذا هو الغابة السحرية التي تكلمت عنها كتبهم التاريخية ، وفيها المغارة التي تعرف اليوم بمغارة « ابينا آدم » وتقع غير بعيد عن البحر ، عند منتصف الطريق بالقرب من الجسر الروماني في بلدة المعاملتين ، وكان يحيط بها قديما شجر الارز الخالد ، فعقد السحرة تحت شجرة من شجرات الارز المفروشة الاغصان ، حلقة يتوسطهم كبيرهم « ناتان » ، فاطلقوا البخور ، ونثروا الزهور ورشوا ما معهم من عطور ، ثم احرقوا بعض الاعشاب السحرية على نغمات صلواتهم الدينية، فاهتز لها المكان ، وشدا القمري المستوي فوق الاغصان ، واذا بجنية ترتدي ثوبا ابيض اللون ، تزين صدرها زهرة حمراء ، في وسطها ارزة خضراء، تشق الارض وتخرج منها ، بعد ان شجتها عذوبة تلك الالحان ، فاتجهت نحو كبيرهم « ناتان » وقبضت على لحيته المرسلة على صدره وقالت :

— لبيك ، مرني بما تريد ، فاناخادمتك وعبدتك بين يديك .

دهش الجميع من منظرها ،وخافوا منها على الرغم من جمال صورتها ، وحسن مظهرها ، غير أن «اوفيدس» ملك نفسه وتذرع بالشجاعة واحنى رأسه ، وقال :

— في هذه الغابة مغارة عجيبة نريد ان نعرف سرها ، وندرك ما خفي من امرها ، وامر الظبي الذي اختفى فيها .

قالت الجنية : سمعا وطاعة ، ابنوا لي صرحا يتصل بالسماء ، فانطلق منه ببساطي السحري الى مملكتي في عالم الفضاء ، ثم اعود اليكم بسر المغارة ، وسر الظبي الذي اختفى فيها ، كما اعود اليكم بسر هذا الكون العجيب كي تأمنوا شر طغيان ماء البحر عليكم وابتلاعه اراضيكم .

وقف الجميع لحظة وهم في حيرة من هذا الطلب الغريب ، واخذوا يفكرون وهم ينظرون الى بعضهم بعضا ، غير انهم لم يجدوا لهم مخرجا من حيرتهم ، فعادت الجنية وكررت الطلب ثم اختفت في جوف الارض .

شغل بال « اوفيدس » هذا الطلب فقفل راجعا مع السحرة من حيث اتوا ، فعقدوا اجتماعا دعوا اليه اكبر عدد ممكن من افراد الرعية، وقصوا عليهم قصة المغارة العجيبة ، وطلب الجنية الغريب ، وقد ادرك القوم ان خلاصهم من الزلازل ونجاتهم من طغيان ماء البحر عليهم وعلى اراضيهم مرهونان باجابة طلب الجنية ، ولكن كيف السبيل الى ذلك وهم عنه عاجزون ؟

كانت الافكارتجول وتتدافع في رأس « اوفيدس » وهو يتحرق شوقا الى الخروج من المأزق الذيهو فيه، وقد ارتسمت على محياه علامات الحزن ، واخيرا طرات عليه فكرة اخرجته من حيرته ، فتوجه مع عدد كبير من افراد رعيته الىالغابة، وشرعوا في بناء الصرح ، الذي ما فتئت اثار حجارته الكليسية السوداء، تشاهد حتى يومنا هذا في جبيل المدينة التاريخية ، فاخذ البناء يرتفع، ويتعالى في الارتفاع ، حتى اذا كاد يلامس زرقة السماء ، ظهرت الجنية ثانية ، وصعدت الى اعلاه وبسطت بساطها السحري فوقه ، وبينما هي تهم بالانطلاق من قيود الارض لتحلق في الجو وتذهب الى مملكتها في عالم الفضاء ، زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت من جوفها اثقالها ، فانهار الصرح وابتلعت الارض جميع الذين كانوا يعملون في بنائه فاختفوا عن الابصار في اقل من طرفة عين .

كا نيراقب سير العمل من فوق جبل الالهام « السحرة »«واوفيدس» فلما راوا هذا المنظر ، اضطربوا وخافوا ، ووقفوا مبهوتين لا يدرون ماذا يفعلون ، فايقنوا ان الالهة غير راضية عنهم لتطاولهم عليها،ولرغبتهم في معرفة اسرار الكون الذي هو من حقها وحدها ، فاعتزلوا في الغابة المقدسة ، وشرعوا يصلون للالهة وقد ندموا على ما فعلوا ، ثم ساروا بخطوات ثقيلة الى المكان الذي اقيم فيه الصرح ، فراوا جنية فارعة الطول ، ممشوقة القد ، مليحة الشكل ، يتدلى شعرها الاشقر على كتفيها ، حتى يغطي جسمها ويتصل باخمص قدميها فاذهلهم منظرها ، وراعهم ظهورها بهذه الصورة فقالت لهم بصوت رقيق :

— لا رغبة لي في ان اذكر لكم الماضي بمآسيه ، قد عرفت سبب اجتماعكم في هذا المكان من شقيقتي « جيهان » فهي تقول لكم اذا رغبتم في بناء الصرح ليحميكم من طغيان ماء البحر عليكم ، وفي عودة افراد الرعية الذين ابتلعتهم الارض اليكم ، قدموا لها ضحية طفلا من اطفال الجان المقيمين وراء مقاطعة « جبل الالهام » ويجب ان يكون هذا الطفل اشقر اللون ، مجعد الشعر ازرق العينين ، لا يزيد عمره على عشر سنين ، فابحثوا عن الطفل المطلوب حتى اعود اليكم من مقر اقامتي في جبال حرمون ، قالت الجنية هذا وطارت في الفضاء .

وقع هذا الكلام على السحرة « واوفيدس » موقع الصاعقةووقفوا مذهولين مرتبكين ، ولكن موقفهم هذا لم يدم طويلا فقال « اوفيدس » : لقد ابتلينا بشر اعمالنا ، فالالهة غير راضية عنا ، فلذا انشقت الارض وابتلعت رجالنا ، فخير لنا ان نبقى على حالنا ونرضى بحالتنا من ان نتطاول على جيراننا سواء أكانوا من الانس او الجن ، لانه من يدري ماذا يصيبنا ؟

كان هذا الشعور الطيب من جانب « اوفيدس » المحب للسلام الذي يحث عن السعادة في كل مكان،موضع رضى الالهة ، فحدث انه بينما كان مجتمعا مع السحرة وعلى وجهه بشاشة على غير عادته يتشاورون في شأن من الشؤون ، ظهرت لهم جنية تحمل بين ذراعيها الطفل المطلوب وقالت :

ــ اليكم هذا الطفل ، افعلوا به كما امرتكم شقيقتي « جيهان » ثم تركتهم وانصرفت .

لما رأى « اوفيدس » الطفل، عقل الارتباك لسانه ، وراوده الامل من جديد في انه سيبلغ غايته ، فتغمر السعادة قلبه ، فاخذ الطفل وكان كالحمل الوديع بين يديه ، وبعد ان تفرس في وجهه مليا شق عليه ان يذبحه ، ادرك الطفل ذلك ، فحدق النظر « باوفيدس » وقال :

ــ ماذا تريد ان تفعل بي ايها السيد الكريم ؟

ازداد « اوفيدس » دهشا وارتباكا وقال في نفسه : كيف ان طفلا يتكلم ؟ فنظر اليه وقد ادرك ان في هذا الامر سرا ومفاجأة جديدة وقال :

ــ اريد ان اذبحك ايها الطفل ، كما تذبح الشاة ، لاقدمك ضحية للجنية « جيهان » ثم نخلط دمك بتراب ارضنا ، ونبني به صرحا يضارع في طوله سور الصين العظيم وفي ارتفاعه برج بابل الضخم ، كي يمنع طغيان ماء البحر عن اراضينا ويحمينا من الزلازل التي تجتاح جبالنا ، وبذلك ينكشف لنا سر المغارة والظبي الذي اختفى فيها .

قال الطفل : وهل تعتقد ذلك ؟

اجاب « اوفيدس » : هذا ما افتى به سحرة المدينة بعد ان استشاروا الالهة ، فهم يعلمون الماضي والحاضر والمستقبل ، كما يعرفون جميع الاشياء المنظورة وغير المنظورة فوق سطح الارض وفي باطنها .

ــ لقد اصاب السحرة كبد الحقيقة في قولهم ، ولكن قبل ان تذبحني لي رجاء واحد ، وهو ان تسمح لي يا سيدي بكلمة اقولها .

قال « اوفيدس » تكلم ، هذا من حقك ايها الطفل .

ــ يقول سحرة المدينة ان التراب الذي سيستعمل في بناء الصرح يجب ان يخلط بدمي كي يكون متماسكا ، فاذا كان الامر كما يزعمون هل يسمح لي سيدي ان اوجه اليهم سؤالا واحدا ؟

اعجب « اوفيدس » بمنطق الطفل وشجاعته وقال : سل ايها الطفل ما تريد .

ــ قلت ان سحرة المدينة يعلمون الماضي والحاضر والمستقبل ،ويعرفون ما في باطن الارض وما خفي في الكون من اسرار ، فهل يتكرمون ويقولون لي ماذا يوجد تحت هذا المكان، الذي سوف اذبح فيه والذي سيبنى فوقه الصرح العظيم ؟

لما سمع السحرة هذا الكلام اسقط في يدهم ، وتظاهروا بالغضب والانفعال ، وجعلوا في يدي ورجلي الطفل الاغلال والقيود ، واسرعوا واحضروا السياف لذبحه ، وبعد ان تمت جميع الاجراءات قال كبير السحرة « ناتان » :

ــ هل تعتقد ايها الطفل ان كلامك هذا سينقذك من الذبح ؟ عبثا تحاول ذلك ، ان الالهة تلح في طلب ذبحك ، وارواح الاعداء التي تملأ الفضاء في الانتظار لترتوي بدمك ، عليك به يا سياف .

اسرع السياف الى سيفه فاخرجه من غمده ، وامسك برأس الطفل يريد فصله عن جسده ولكن« اوفيدس » انبرى له وقال :

ــ مهلا ، انكم لستم بجانب الصواب فانا لم ابحث عن طفل في مقاطعة الجان الواقعة خلف « جبل الالهام » خشية أن يكون هذا العمل موضعا للخصام .

ادرك الطفل ان « اوفيدس » يدافع عنه فتشجع وقال :

ــ ان السحرة يا سيدي لفي ضلال ، فقد اظهروا جهلا فاضحا في معرفة خفايا الطبيعة وما يحيط بالكون من اسرار ، ان في جوف الارض حيث تريد ان تبني الصرح ، قلعة قديمة الايام ، تحتها كهف يمتد بالطول حتى يتصل بجبل الالهام ، كما يلتقي من الجهة الجنوبية بالمغارة التي اختفى فيها الظبي ، ويقيم في هذا الكهف تنينان ، هما في صراع دائم مع بعضهما ، وان الحركات التي يأتيانها هي التي تحدث الزلازل ، وتسبب هيجان البحر ، فتطغى مياهه على الجبال ، احفروا في هذا المكان ، فتجدوا كما قلت لكم ، وتلك هي علامة لكم انكم تجدون بباب الكهف

الظبي الاشهب اذ عندما يراكم يتحول في الحال الى حوزة انسان فينقض على التنينين فيقتلهما ويخلص المقاطعة من شرهما .

كان هذا الكلام من جانب الطفل موضع الغرابة من جميع الذين سمعوه، اما السحرة فاخذوا يتشاورون فيما بينهم على انفراد في وسيلة يتخلصون بها من المأزق الذي وقعوا فيه ، فانتهى بهم الرأي الى اصدار الامر للسياف بان يعيد سيفه الى غمده ، وهنا هبطت عليهم جنية من السماء ومعها عدد لا يحصى من الجان ، وباشروا الحفر في الحال في المكان الذي اشار اليه الطفل ، فما انقضى وقت غير طويل حتى بان لهم الكهف ، ثم ما لبثوا ان سمعوا دوي المغارة الذي يصم الاذان ، ورأوا التنينين وخلفهما الظبي الذي ما كاد يبصر النور حتى تحول الى صورة انسان قوي العضلات ، فارع الطول ،جميل الخلقة ، فجرى فى اثر التنينين وقتلهما شر قتلة وخلص مقاطعة « جبل الالهام » من شرهما ، ثم تقدم من السحرة وقال :

ــ انا لست ظبيا كما تتصورون ، وانما انا انسان مثلكم كما ترون، واسمي « مرجان » قد سحرتني عجوز عقابا لي ، لاني سخر ت منها، فشردت في الغابات الى ان طاردني صياد ، فلجأت الى هذه المغارة التي فيها التنينان ، وكان لا بد لي كي اعود الى صورتي الاصلية ان ابصر النور على وجه هذين التنينين.

دهش « اوفيدس » والسحرة من هذا الكلام ، ومن هذه المفاجأة الجديدة وامروا بان تفك القيود والاصفاد من يدي وقدمي الطفل ، واكرموه واطلقوا عليه اسم « اورفيوس » لانهم رأوا معه مزمارا في حقيبة جلدية وارسلوه الى الغابة السحرية ليزداد علما ومعرفة باسرار الكون .

مكث « اورفيوس » في تلك الغابة زمنا طويلا ،كان في اثنائه يبحث ويفتش عما خفي عليه من اسرار وما فاته بشأن الطبيعة من الغاز ، ولما ترك الغابة وعاد الى قصر « اوفيدس » لاحظ عليه ان الحزن لا يزال يملأ قلبه ، فلا ينفرج ثغره عن ابتسامة ، ولا ينبض قلبه بفرحة ، برغم ما هو فيه من بسطة في العيش ، وسعة في الرزق ، ورفاهية في الحياة ، فلم يشأ ان يفاتحه بالسر الدفين الذي يعذب قلبه ، ويقض مضجعه ، ويسقيه من الكأس مرارته .

وفي ذات يوم بينما كان الاثنان يتنزهان في حديقة القصر ، جلسا تحت شجرة ارز قديمة الايام، متفرعة الافنان ، يتحدثان عن الطبيعة واسرارها ، الى ان جرهما الحديث الى السعادة التي ينشدها « اوفيدس » فوجد « اورفيوس » الفرصة مؤاتية ليحدثه عن حجر السعادة الذي عثر عليه في الغابة فقال :

ــ في اثناء وجودي في الغابة السحرية ، عثرت على حجر اسود اللون ، شديد الشبه بالحجارة التي نبنيا بها الصرح ، وقد كتب عليه بلغة غريبة العبارة الاتية « من يملكني يعش سعيدا » وقد حاولت ان اقتلعه من مكانه ، وانقله الى حديقة قصرك فلم استطع لكبره ولتشبثه بالارض

ما ان سمع « اوفيدس » بخبر هذا الحجر ، حتى كاد يطير من فرط الفرح ، واخذ يفكر في طريقة الحصول عليه ، فلم يجد خيرا من الظبي مرجان الذي تحول الى صورة انسان في ان يقوم بهذه المهمة فقال :

ــ ان الظبي مرجان الذي تحول الى صورة انسان والذي خلصنا من شر التنينين قد يستطيع ان يأتينا به .

ــ قال « اورفيوس » : انه خرج امس في جنح الدجى ولم يعد ، ولست ادري الى اين ذهب .

ترك « اوفيدس » مجلسه واسرع في البحث عنه في الغابات ، الى ان القاه رابضا فوق ربوة وراء الصخور ، فاسرع اليه وقص عليه قصة حجر الاسود المسحور .

قال مرجان : امهلني ، فسأحضره لك في بحر ثلاثة ايام .

سار مرجان على رأس عدد من الفعلة الى الغابة بادواتهم ومعداتهم يتقدمهم « اورفيوس » بمزماره السحري ، ولما وصلوا الى الغابة احاطوا بالحجر وحاولوا ان يزحزحوه من مكانه ، فلم يستطيعوا ، فكانوا كلما ازدادوا في الارض حفرا ازداد الحجر في الارض تشبثا ، وبعد ان اعيتهم الحيل ، صاحوا بصوت واحد قائلين :

ــ لا نعتقد انه في استطاعتنا ان نقتلع صخرة السعادة من مكانها .

صرف « اورفيوس » الرجال وانفرد مع مرجان في مكان بالقرب من ذلك الصخر وتناول مزماره السحري واخذ ينفخ فيه نغمات محزنة مؤثرة ملأت الغابة كآبة وحزنا اهتز لها كل شيء حتى الصخر الاسود فتزحزح من مكانه وشرع يزحف وراء اورفيوس» من اعلى الجبال حتى وصل الى المكان المعروف اليوم براس الشقعة الذي يطل على البحر ، فتوقف هناك عن الزحف قليلا ، ثم هوى الى البحر وتفتت الى الصخور التي يراها المرء متناثرة على الشاطىء الممتد من جونيه حتى جبيل ، ثم ما لبثت الارض ان انشقت وخرج منها بصف طويل العمال الذين كانت قد ابتلعتهم من قبل ، ثم سمع الحاضرون صوتا ينبعث من جوف الارض يقول :

ــ اسمع يا « اوفيدس » ان سعادة الحياة في قناعتها ، وغناها في كفافها، ولذتها في متاعبها ، وهناءها في غموضها ، وفرحها في مفاجآتها ، وجمالها في خلائقها فاذا وضح للانسان كل شيء فيها ، فقد لذتها ، واضاع رونقها وبهجتها ، ان الحياة جميلة لمن ينظر اليها بنور قلبه لا بنور عينيه ، لان من القلب تنبثق السعادة التي ينشدها الانسان فتبدو له الحياة جميلة ، بل ويبدو له اجمل ما فيها شعوره بانه سعيد .

القاهرة **ميشيل سليم يمين**

كبرياء

*

احبك ... لكن بي كبرياء
تطال السماء
وتذري لذيذ المنى بالهواء

احبك ... ملء الهوى والشباب
وملء الرغاب
واهوى بقربك مر العذاب
ولكن بي كبرياء
تطال السماء

احبك ... ملء الوجود
وليس لحبي حدود
وفيك عرفت الحياة
باسمى المعاني
واحلى الاماني
ولكن بي كبرياء
تطال السماء

احبك ... لكن بي عنفوان
ابى ان يهان
لادفن فيه الهوى والحنان
وعذب الامان
واندب قلبي طول الزمان
لان بي كبرياء
تطال السماء

اذا الحب يوما تراءى جميلا
وذاق به المدنف السلسبيل
ذرفت عليه غزير دموعي
واحرقت فيه بقايا ربيعي
وافنيت عمري
وادميت صدري
واظميت شعري
حفاظا لعهدك يا كبرياء

صور زهرة الحسر

الاشارب

*

هذا الاشارب الذي وصل
ما كان ليصل الي
لولا ظهور رغبات
تتأجج في صدرك
وقيام علاقات
بها ترتبطين
فهو ارادة من صنيعك
حفاظا على توصيات
هي بمثابة حق من حقوق

هذا الاشارب الاحب
المفرط فى زقزقات شجيات
هو اثمر رسالة منك
من خلف الشطوط

كل خيط من خيوطه الحريريات
رمز لمناسبات .
ففي واحته الدافئة
غرست يدك غرسات جميلات
فخلفت فى الفن جمال الابداع

فكلما ارمي ببصري نحوه
سأرميه نحوك
رغم طول مسافات
وكلما امر بيدي على وجهه
سأحس بوجهك الذي
تلحسه نسمات غريبات
وكلما تمرين فى افكاري القلقة
سينتعش الاشارب الزاهي

يا روضة الرياض المتفتحة البراعم
وموسيقى السهرات
الطروبة الانغام
يا حبيبتاه .

ابراهيم عبده الخوري

مكتبة الاديب

ايـــام عشناهـــــا

لخليل جرجس خليل ـ مجموعة شعرية ـ تقديم عزيز اباظة ١٢٠ صفحة ـ لوحة الغلاف والرسوم الداخلية بريشة الفنان سعد مطابـع دار اخبار اليوم بمصر .

ديوان الشاعر ايوانه، فهو صرح يبتنيه لا بالحجر والاجر، بل بالمهجة اذ تنفطر والقلب اذ ينكسر والعاطفة اذ تمور، بل بالحياة كلها اذ تترجح بين ألم وامل . افلا ترى الشاعر يقضي العمر فى بناء ديوانـه بيتا بيتا، وقصيدا قصيدا، ومقطوعة مقطوعة حتى ينهض بناؤه شامخا سامقا، ويكون لانفعالات الشاعر مقاما ولاماله وامانيه منزلا ومستقرا ؟ فديوان الشاعر، اي شاعر، هو ايام عاشها، ودروب سلكها، وتجارب عبرت فى حياته فتركت اثارا، وصفحات كتبت بمداد الشقاء حينا وخضاب الامل احيـــانا . .

وديوان « ايام عشناها » للشاعر خليل جرجس خليل، او ان شئت فقل ايوانه ، ليس صرحا من صخر وفولاذ، ولكنه معرض لآمال الشاعر حين يؤمل ، ولقنوطه حين يقنط ، وريبه حين يرتاب ، ويقينه حين يوقن، وواقعه حين يكون يقظا ، وظنونه حين يركب متون الخيال والظنون . انه الدنيـا التي عرفها الشاعر بوهادها وقممها، بافراحها واتراحها، بخيرها وشرهـا، بكفاحها ومراحها، انه « ذكرى لحظات من العمر وايام عشناها » على حد قول الشاعر نفسه .

وشعر خليل جرجس خليل صادق الاداء ، نابض بالحياة التعبيرية . ومن ثم تراءت عليه انفعالات الشاعر ونزواته وآماله وباساؤه ، فجاء اغلب قصائد الديوان متأرجحا بين الشك واليقين ، بين التفاؤل والتشاؤم ، وان كانت موجة التشاؤم طاغية فى النظيم . واذا تطير شاعر فذلك دليـل على طلب الكمال او المحال، اما اذا تفاءل، فقد قنع من الحياة بحظه المقسوم، وصار الى الرضا اميل . فمن التشاؤم قول خليل :

المرء يكدح غافـــلا ، ويفيق في ظـل الممـــات

وقوله : واليأس يزهق همتي، والبـؤس يقتل في عزمي

وقوله : انا من نأت عني الحظوظ، ولم بدلت لهن مسعى

وقوله : للريح ، للعـــدم المقدر، كل شيء للذهـــاب

وقوله : لم اسعى ؟ لم احيـــا ؟ الكسب ام لجـــاه
انا مــــا حققت شيئا من امـــاني الحيـــاه
ذهب العمر هبــاء وســـدى ، واأسفـاه !

وقوله : اين صحبي؟ اين الفي؟ اين هنــد ؟ اين لبنــى ؟
ذهـب الكل وخلـوا خافقـــا ينبـض حزنـــا
الربيـــع الطلـق اين ؟

ولكن تشاؤم خليل يقضي بـه حتما الى فسحة أمل او بارقة مـــن فأل . فالدنيا مهما اسودت فى وجهه، تركت بصيصا من الضوء يهتدي به الشاعر فى ظلمة الحياة . فالشاعر الذي يقول فى مطلع قصيدة ، وكانـه فى كل امـل :

هل في الحيـاة مبرر للعيش ؟ اني ذقتهـا

يقول فى وسطها متعللا بالرجـاء :

أمسي اقول يئست من عيشي، واصبح آمل

ويقول فى خاتمتها متفائلا :

ان كنت لم ابلغ مناي، فربما فى العمر فسحه

والشاعر الذي يبكي ضياع الثروة والعلـم والكتب والآل بقوله :

ايـــن مـا خلـف جـــدي ؟ ايـــن مـا جمـــع آلـــي ؟
اين علمــي ؟ ايـــن كتبـي ؟ اين اهلـــي ؟ اين مـــالي ؟
وشقيقي ، هـــل رعـــاني ؟ وصـــديقي ، هــل صفـا لي ؟
اي طـــب او طبيـــب قـــد وقاني فـــي نضـــالي

يخاطب قلبه بعد ذلك قائلا :

استرح يا قلب من فكر وشـك وسؤال
لا تهزنـك يا قلبـــي اعاصير الليالـي
انـت ان آمنـت باللـه فلا شيء تبالـي

والشاعر الذي يأس لان الناس تنكر عليه مواهبه وتقول عنه انه اعجمي المنتمى غريب السجايا، يشرق وجهه بالامل فيقول :

وانـا مـن اذا يشـار شعوري هز شعري الدنى واشجى البرايا
لقنتني الهـة الشعر وحيـــا فنماه فمي الى الخلق آيـــا

وفى ديوان خليل ملحمة ، ان ذكرتنا بطلاسم ايليا ابي ماضي، فقـد نحت فى الشعر نحوا جديدا غير مسبوق. فهي ملحمة شامخة بموسيقاها ومعانيها وفلسفتها وصدقها وتجاربها . ففي ملحمة « وحي الاربعـين » يترجم الشاعر لنفسه لا ترجمة مما ألفناه وعرفناه ، بل ترجمة من نسق جديد . فقد بلغ الشاعر الاربعين، فهاجت خواطره فى تلك السانحـة ، واخذ يستقصي اسرار الكون وحكمة الوجود، ويناقش سنن القضاء والقدر، ويحلل احاجي الطبيعة ، ويسرد ما ترادف فى حياته من احداث، ويصور ما يلقاه المرء فى دنياه من كدح وعناء ، ومن خلال كل هذا ، يتحدث الشاعر عن نفســه ، وعـن ابنائه وزوجتـه ، وعن رسالتـه واهدافه ، وعـــن كفاحه وصراعه، وعن آماله العريضة التي لما تبلغ . وهو فى هذه الملحمة مضيع بين يأس ورجاء . فساعة تثبط همته، وساعة تنبسط اماله، وهو فى كلتا الحالتين صادق مع نفسـه ومع ضميره ووجدانه . فقد اكتهل على الرغم منه، وحمل اعباء بنين سبعة ، وهو حمل ثقيل، ودأب فى العمل غير مبال بما ينوشه من اوجاع، ولكن حب البقاء اكرهه على التمسك بالحياة و« يا للفضيحة ان هربت من الحياة لطيتي » .

وفى هذه الملحمة البارعة يقول الشاعر :

الاربعـــون بلغتهـا ! بالله كيـــف بلغتهـا ؟
انـــا لست اذكر انني صافيتهـــا واطقتهـا
ما كنت انهي ساعـــة الا حسبت المنتهـى
وحمدت اني ذاهب وعجبت انـــي عشتهـا
هـــل في الحيـــاة مبرر للعيش ؟ اني ذقتهـا
سفر طويــــل والسبيل تروع ، كيف طويتها ؟
الاربعـــون بلغتهـــا ! بالله كيـف بلغتهـا ؟

اني لاعجب كيـف تدفعني الحيـــاة ، واقبل !
امسي اقول يئست من عيشي، واصبح آمـل !
اصحو اقول سأترك الدنيـا وامسي اشغـل
امضي اقول سأنتهي بيـدي ، ولكن اعـــدل !
اهو الشقاء مقـــدر ؟ أهي الحيـاة تعلل ؟
اهنـاك من يهب الحيـاة وليس يقبـل يسأل

ويوزع الاعمار لا يرتاب فيما يفعل ؟
ويعد حكما كيف كان ولا اعتراض يؤمل ؟
اني لاعجب كيف تدفعني الحياة ، واقبل .

ماذا اخذت من الحياة وقد حييت الاربعين ؟
انا ذا سجينا في الحياة بغير ما ذنب السجين !
اي البذور زرعت ثم حصدتها عنبا وتين ؟
ماذا افدت بما رأيت وما سمعت مدى السنين ؟
ماذاجمعت من النضار، من الحقول، من السفين؟
الناس يبنون البيوت وكل « ابياتي » ظنون !
والناس يعطون الغنى ، وانا تؤرقني الديون !
ماذا اخذت من الحياة وقد حييت الاربعين ؟

لي في الحياة تجاربي ومتاعبي، وبنون سبعه
يسرت خلقهمو باذن الله، هل استطيع منعه ؟
شدوا الى عنقي فما من لقمة بد وجرعه !
شحذوا قواي ووكدوا كدحي فاضحى الكدح شرعه
انسوا الي وقد انست بهم ، أأتركهم بلوعه ؟
وبدوا لعيني مثل طاقات الجنى حسنا وروعه
قدر يحببهم الي لكي ارى في السعي متعه
ما كنت استأني الردى الا لدفع بني دفعه
لي في الحياة تجاربي ومتاعبي، وبنون سبعه

سأظل احمل رايتي رغم المكاره والصعاب
واسير في صدر الصفوف مجاهدا بين الصحاب
انا لا اضن بطاقة ، انا لست ابخل في الحساب

الى ان يقول :

وكريم عيش لا يطول اعز من طول الطلاب
سأظل احمل رايتي رغم المكاره والصعاب

وهذه القصيدة البارعة التي اجتزأنا منها ببعض الابيات المعبرات، متطاولة في اسلوبها ومعانيها ومراميها . انها نفس الشاعر وقد انفطرت، وقلبه وقد فاض بما فيه، وحياته التي عاشها فتحيفته في النصيب . وهي فضلا عن ذلك حصيلة العمر من دروس وعبر ، لان خليلا قد طعمها بالحكم الغوالي تجيء عفوا بين زفرة وزفرة ومن تلك الحكم قوله :

ما قيمتي ان لم اجاهد في الحياة لرفع شأني ؟
وقوله : عش باذلا كل القوى ، او لا تعش بين الشباب
وقوله : ما كل ما لمعت رؤاه سوى تهاويل السراب
وقوله : الموت في ظل الجهاد ألذ من بعض الرغاب

والوجدانيات عند خليل جرجس خليل تجمع بين مزايا ثلاث . فهي مصوغة في قالب يطرب . وهي صادقة الاداء لان ما في قلب الشاعر يجري على طرف لسانه . وهي صور متحركة تسبي القاريء بجمالها وفتنة تعبيراتها . فقصيدة « لالا » تصف الدلال ابدع وصف، وتصور الرغبة اصدق تصوير ، وتبين تدله المرأة على حقيقته . وفيها من اللعب بالالفاظ ومن المحاورات والمداورات ما يسبغ عليها مزيدا من الجمال الشعري . فقد انطلق الشاعر فيها على هواه لان « لالا » قد تدلهت عليه وتدللت، فاثارت فيه جميع الرغاب ، حتى كفر بالقرءات الطوال، واقر – وهو اقرار لا يعتد به – بانه قد قضى العمر لجهله ينظم الشعر وينضد القوافي. فقد طاش صوابه امام هذه الفتنة العارمة ، ونحى الشعر حينا ، ناسيا انه هو القائل :

من قرار الانغام صيغ كياني انا والشعر والهوى والاماني

وانه القائل ايضا انه ينظم الشعر مطبوع السمات .

ولكن، في سبيل « لالا » نسي الشاعر الحانه وخانته الاداة . وبدلا من ان يقول « انا والشعر والهوى والاماني » قال « انا والحب ولالا » .

ولا عليه ، فهو شاعر مبدع حتى في هذه القصيدة الوجدانية التي زعم فيها انه طلق الشعر وخانته الاداة . ولا عليه ايضا ما دام قد تاب واستغفر في مقطوعة تالية من مقطوعات الديوان قال فيها :

فاحترم يا قلب شيبي وتجمل بالمسوح
قلبي استغفر وتب
قلبي اسجد واقترب

ومن وجدانيات خليل قصيدة « حسناء المعادي » وقصيدة « عذراء الاريزونا » وقصيدة « جوهرة » وقصيدة « عروس من الشرق » وكلها من الغزل العفيف اللفظ والعبارة والمعاني . فقد قال الشاعر كل ما اراد ان يفوه به دون ان يخدش حياء او يومي الى معنى دوني . فقد ترفق باللائي عبرن صفحة ماضيه، وصورهن في انبل الصور الانسانية الرائقة .

قال في « حسناء المعادي » :

انت ما انت ؟ قبلة من فم الحب للحبيب ؟
انت من انت ؟ نفحة من رضا الله للقلوب ؟

وقال في « عذراء الاريزونا » :

وقد انتهى املي اليك فليس لي امل سواك !
العمر ضيعه الهوى ، لكن كسبت به رضاك
والقلب عذبه الجوى ، لكن صبرت على هواك

وقال في « جوهرة » :

رفعتك بالحب حتى على كياني وشعري وما صوره
ولو كان ملك الدنى في يدي لما اخترت منه سوى «جوهره»!

وقال في « عروس من الشرق » :

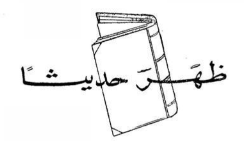
تعالى الله من سوا ك حوراء من الخلد !
افاض الشرق من سحر عليك واجزل المسدي
تأنق في الزي تخفى وابدع في الذي تبدي
وهيأ حسنها يسبي وسدد لحظها يردي
سمات الشرق طابعها تبارك ناظم العقد
يغار الظبي من لفتا تها وتناسق البرد

ان ديوان « ايام عشناها » للشاعر خليل جرجس خليل دليل جديد نرفعه في وجه الذين ينادون بالتجديد في الشعر بنبذ الوزن واغفال القافية واهمال العروض والتحلل من البحور المختلفة . وهو دليل مفعم، لان الشاعر استطاع ان يجلي ويبدع على الرغم من القيود والسدود التي يتشكى منها شعراء اليوم المتكاسلون الخاملون .

ثم انه دليل جديد نسوقه لاولئك الذين يريدون تسخير الشعر لاغراض معينة بحجة الالتزام – والالتزام في حقيقته الزام واكرام . فقد استطاع خليل جرجس خليل في ديوانه هذا ان يتناول موضوعات الساعة ، ما تعلق منها بنفسه او بمجتمعه، دون ان يكون في ذلك مسخرا الا لضميره . وهو لا يلتزم شيئا ولا يتمذهب ولا يريد ان يكون هادفا او غير هادف . فهو شاعر يتغنى بما يجول في خاطره، ينظم الشعر كما يهوى ، ويردد القصيد متى استجابت مواهبه لحادث ما . فهو شاعر حر ، والحرية التي نفهمها في الشعر هي ان يقول الشاعر ما يعتقد في طلاقة وابانة ومجاهرة وفصاحة . اما الحرية التي يفهمها المتكاسلون الخاملون ويخالونها في التحرر من الوزن والقافية فهي بئس انواع الحريات .

وحسب الشاعر خليل جرجس خليل انه كان امينا على رسالة الشعر: قالبا ونغما واداء ومعاني ولغة . وحسبه فوق ذلك انه كان مجددا في موسيقاه ومناهجه الشعرية ، وانه بديوانه هذا قد اضاف الى الضاد جديدا تفاخر به .

القاهرة **وديع فلسطين**



- هربنا بجلدنا ـ تأليف ثورنتون دايلدر ـ ترجمة مرسي سعدالدين ـ تقديم انيس منصور ـ الكتاب السابع من سلسلة « من ادب المسرح » ـ ١٤٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطبعة مصر

- قلب لبنان : جولات صغيرة فى جبالنا وتاريخنا ـ تأليف امين الريحاني ـ طبعة ثانية منقحة ومصورة ـ تقديم ميخائيل نعيمة ـ ٥٥٦ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت

- داخل افريقيا ـ الجزء الثاني ـ تأليف جون جنتر ـ اشراف ومراجعة وتقديم حسن جلال العروسي المحامي ـ ٤٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطبعة مصر .

- الجزائر فى منظمة الامم المتحدة ـ نص الخطاب الذي القاه المنجي سليم مندوب تونس الدائم بمنظمة الامم المتحدة امام اللجنة السياسية يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥٨ ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ وزعته سفارة الجمهورية التونسية قسم الصحافة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

- الارقام الاساسية لتطوير الاقتصاد السوفياتي للفترة الواقعة بين ١٩٥٩ ـ ١٩٦٥ ـ موضوعات تقرير الرفيق خروشوف الى المؤتمر الحادي والعشرين القادم للحزب الشيوعي فى الاتحاد السوفياتي ـ ١٢٨ صفحة ـ ملحق العدد ٤٤ من « الانباء السوفياتية » (لم يذكر اسم المطبعة)

- اوراق ثورية ـ تأليف منير البعلبكي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات وطبع دار العلم للملايين ببيروت

- القومية ليست مرحلة ـ تأليف الدكتور كمال يوسف الحاج استاذ الفلسفة فى الجامعة اللبنانية ـ ١٧٦ صفحة ـ الكتاب العاشر من سلسلة زدني علما ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت

- تأملات لبنانية : الاسس لتطور لبناني ـ تأليف بشاره صارجي دكتور فى الفلسفة ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة دير المخلص بصيدا لبنان

- العرب والملاحة فى المحيط الهندي فى العصور القديمة واوائل القرون الوسطى ـ تأليف جورج فضلو حوراني ـ ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر الاستاذ المساعد بكلية الاداب بجامعة القاهرة ـ راجعه وقدم له الدكتور يحي الخشاب الاستاذ بكلية الاداب بجامعة القاهرة ـ ٤١٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة

- اشعار فى المنفى ـ مجموعة شعرية ـ لعبد الوهاب البياتي ـ طبعة ثانية ـ مع مقدمة بقلم عبد الملك نوري ـ الغلاف والرسوم بريشة الفنان السوري ادهم اسماعيل ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات الثقافة الجديدة ـ مطبعة الرابطة ببغداد

- جسد الجمهورية ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد الرحمن البيك ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة الشرق بحلب

- ابو مسلم الخراساني ـ تأليف محمد عبد الغني حسن ـ الكتاب ٨ من سلسلة مشاهير العرب ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر

- بيري ، مكتشف القطب الشمالي ـ تأليف محمد عبد الغني حسن ـ الكتاب ١٠ من سلسلة قصص الرحالة والمكتشفين ـ ٩٦ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر

- منجو بارك ـ تأليف محمد عبد الغني حسن ـ الكتاب ١١ من سلسلة قصص الرحالة والمكتشفين ـ ٩٦ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر

- اوراق جريحة شعر منثور ـ لالياس الفاضل ـ الغلاف والرسوم بريشة عدنان ميسر ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة الحياة بدمشق

- شوك وورد ـ مجموعة من الخواطر والافكار وطائفة من المقالات ـ تأليف حسن عبدالله القرشي ـ ٢٣٨ صفحة ـ مطابع الرياض (؟)

- ذهب مع الريح ـ رواية ـ تأليف مرغريت ميتشل ـ ترجمة احمد زكي العرابي مدير الكلية العربية ببيروت وفؤاد ترزي من الجامعة الامريكية ببيروت ـ تقديم محمود تيمور ـ الجزء الاول ـ ٥٠٤ صفحة ـ الجزء الثاني ـ ٥١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ صمم الغلاف اسماعيل شموط ـ الصور من شركة مترو جولدوين ماير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر بيروت نيويورك ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطابع سميا ببيروت

- مع الملاك الشيطان ـ مجموعة شعرية ـ لانطوان رعد ـ ٨٠ صفحة ـ حجم صغير ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

- نحو جديد : اتجاه جديد فى تدريس قواعد اللغة العربية ـ تأليف وديع ديب ماجستير فى الادب العربي ـ ١٣٢ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت

- الحمامة السجينة ـ شعر قصصي : فاجعة اجتماعية ـ لمحمد يوسف مقلد ـ ١١٢ صفحة ـ دار الغد للطباعة والنشر ببيروت

- الكلمة ـ شعر منثور ـ لجوزيف بولس طوبيا ـ ٥٥ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة النفير بطرابلس لبنان

- القنبلة الذرية ومصير الانسان ـ تأليف الفيلسوف الالماني كارل ياسبرس ـ قدم له الدكتور كمال يوسف الحاج ـ الكتاب الثاني من سلسلة « المكتبة الفلسفية » ـ ٩٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت

- اللغة العربية بين المبدأ والتطبيق ـ تأليف الدكتور كمال يوسف الحاج استاذ الفلسفة فى الجامعة اللبنانية ـ ٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ محاضرة ألقيت فى نادي المقاصد الخيرية الاسلامية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

- الانسان الصرصار او رسائل من اعماق الارض ـ تأليف فيودور دوستويفسكي ـ ترجمة انيس زكي حسن ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات وطبع دار العلم للملايين ببيروت

- لبنان والقضية العربية ـ تأليف جوزف مغيزل ـ الكتاب رقم ١١ فى سلسلة « زدني علما » ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت

في كلمات ...

● يستخدم في الاتحاد السوفياتي مستحضر جديد لمعالجة سرطان الجلد اعطى نتائج باهرة وهو عبارة عن دهان اصفر المادة الفعالـــة الرئيسية فيه مادة كيمياوية تدعى كولكامين . وقد امكن الحصول عليها من شجرة تنبـــت في القفقاس وفي اسيا الوسطى . وطريقـــة العلاج سهلة جدا . اذ يوضع على نسيـــج الندبة الدهان وفوقه الرباط . وتستمر المعالجة من ١٠ الى ١٢ يوما . وبعد بضعة اسابيـع تبدأ الانسجة في استعادة حيويتها ولا يبقى اثر للمرض على الجلد . ان استخدام العملية الجراحية احيانا في حالات السرطان الجلدي . يترك اثارا مدى الحياة ، وهي اثار بشعة لان هذا المرض غالبا ما يصيب الوجه . ويعالـج المرضى احيانا باشعة اكس والاشعة الراديومية، ولكن هذه المعالجة ليست عملية دائما . فانها تتطلب اجهزة خاصة غالية في حين ان المستحضر الجديد يمكن الحصول عليه من اية صيدلية. لقد اجتاز مستحضر ـ اومين ـ مرحلة التجربة السريرية وسينتج قريبا بصورة منتظمة .

● دلت الدراسات التي اجريت على مـــا يقرب من مايتي الف من المحاربين القدمـــاء الاميركيين ان نسبة الوفيات بين المدخنـــين بانتظام اعلى منها بين الذين لا يدخنون . وهذه النتيجة تدعم الدراسات الاخرى القائلـــة بوجود علاقة بين نسبة الوفيات والتدخين . وقد صرح الدكتور دورن مدير الاحصاء لمعهد الصحة الوطني ان اعلى نسبة للوفيات هـــي بين المدخنين للسجاير فقطوان الذين يدخنون اكثر من ٤٠ سيجارة في اليوم تكون نسبـــة الوفاة عندهم اعلى منها بين من يدخنون اقل من ١٠ سجاير في اليوم . اما الذين يدخنـــون الفليون او السيجار فان نسبة الوفاة بينهـم وبين غير المدخنين غير واضحة . وقد جمعت هذه المعلومات من الاشخاص الذين خدمـوا في القوات المسلحة بين سنتي ١٩١٧ و ١٩٤٠ ويمثلون الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين الثلاثين والتسعين سنة .

● قال الدكتور مالكولم هريل مدير دائـرة الصحة العامة في كاليفورنيا ، انه تبين مـــن دراسة جديدة قامت بها الدائرة ان الوفيات الناجمة عن امراض الشرايين التاجية المتصلة بالقلب والتي لها علاقة بالتدخين قد تتجـاوز تلك التي تنجم عن سرطان الرئة .

● بسط البروفسور تيفري والطبيب مارتان والدكتور ارتوي ، امـــام اكاديمية الطـب في باريس ، النتائج التي حصلوا عليها بعـــد درس ١٧٠ حالة من شلل جهاز التنفس ، وقد عولجت في مستشفى الاطفال المرضى منذ سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٥٧ . وقال البروفسور تيفري انه امكن انقاذ ثلاثة ارباع المرضى ، بينما كان العكس كذلك منذ سنوات . وحتـى سنة ١٩٥٥ ، لم يكن الاطباء يملكون الرئـــة الفولاذية لمساعدة المصابين بالشلل على التنفس والحياة طوال اشهر واحيانا سنوات، رغما عن قضاء جرثومة المرض على الاعصاب ومراكز القيادة في عضلات التنفس . ومع ذلك ، فقد تبيـــن في بعض الحالات ان الرئة الفولاذية غير نافعة. ولكن قبل ثلاث سنوات ، ظهرت طريقة جديدة تدعى « التنفس المراقب » ، وهي تستخـــدم في المستشفى . وتبين انه من اصل ١٧٠ حالة تتعلق بشلل جهاز التنفس ، اصبح الان بامكان ١٠٢ ان يقوموا بنشاط طبيعي او اخف قليلا من الدرجة الطبيعية .

● قال الدكتور ريتشارد اوفرهولت احـــد جراحي الصدر في بوسطن ان التدخين مـدة طويلة يختصر بين ثماني وتسع سنين مـــن معدل الحياة . ودعا رجال الطب ، بصفتهـم حراسا للصحة العامة ، ان يخجلوا من انفسهم لعدم تقديمهم المثل الصالح بامتناعهم عـــن التدخين . واضاف ان التدخين يسرع بسرطان الرئة ، ودعا الاطباء الى الاقلاع عنه والانضمـام الى الجمعيات الصحية ورجال الكنيســـة والمربين ، لنشر المعرفة عن التدخين والصحة .

● تقول المؤسسة الوطنيـــة الفرنسية ان متوسط حياة الانسان ستتجاوز ٦٥ سنـــة للرجال و ٧٢ سنة للنساء اذا لم يكن هنـاك وباء الكريب .

● تضاعفت ارقام الوفيات في انكلترا وويلز بسبب مرض القلب منذ عام ١٩٤٧ حتى عـام ١٩٥٧ ، وترجع ١٥ في المائة من حالات الوفيات الى الاصابة بهذا المرض .

● ان اجراء تشخيص دقيق والقيام بمعالجة فعالة لتصلب الشرايين وارتفاع الضغـــط الشرياني وغيرهما من الامراض ، يتطلب ان يكون لدى المرء مفهوما واضحا عن الظواهـــر التي تجري في اوعية الدماغ ، وحالة الدورة الدموية في الدماغ . ولقد كان الاطباء حتـــى الان يحكمون على الضغط في الشريان الصدغي حسب حالة اوعية العين وحرارة جلد الجهاز العصبي . واخيرا وضع العالم بيرلي والمرشحة في العلوم الطبية كونوفالوفا وكلاهما من معهد الطب التجريبي في لتونيا السوفياتية طريقـة جديدة لدراسة اوعية الدماغ بواسطة موجات راديو كهربائية . فعلى جانبي رأس المريـض يوضع قطبان صغيران ، يزودهما مولد يعمل بوتيرة ٢٠٠ كيلوهرتز وتوجه الموجات الكهربائية الى الدماغ عـــن طريق الثقبين الجبينـــي والقذالي وتلاقي هذه الموجات مقاومة تسجل قوتها على شريط . وان المنحنى الذي يتم الحصول عليه بواسطة آلة التسجيل يسمح بتحديد حالة اوعية الدماغ وتقدير سير جهاز الدورة الدموية في الدماغ .

والطريقة الجديدة لدراسة الاوعية الدموية تشكل اكتشافا مهما في الطب . وفي الوقت



الحاضر يعمل علماء المعهد المذكور في ابحـاث تستهدف تحديد تأثير تأين الهواء الاصطناعي على الدورة الدموية في الدماغ .

● صرح الدكتور بيكر الاستاذ بجامعــة ايللنوي في المؤتمر الطبي لامراض الجلد الذي عقد في شيكاغو بان الاقراص التي استخدمت اخيرا لوقاية الجلد واكسابه لونا خمريا ،ثبت انها مفيدة ايضا في مكافحة امراض الاكزيما والصدفية والبقع الجلدية البيضاء .

● يعطي الان من العصافير الصغيرة التـي تقتات بشمع العسل في افريقيا املا جديدا في السيطرة على داء السل . فقد اشارت مؤسسة العلوم الوطنية الاميركية ان العلمـاء التابعين لها قد اكتشفوا في امعاء هذه العصافير نوعا من الجراثيم التي لم يحدد نوعها بعـد والتي تفرزداخل امعاء العصفور مادة بروتينية خاصة تمنع نمو جراثيم داء السل في انابيب المختبرات . وقد دلت التجارب الاولية علـى ان هذه المادة تحمي الحيوانات الاختبارية مـن جراثيم ذلك المرض الوبيل .

● تساءلت صحيفة الدايلي ميرور الانكليزية عما اذا كان من المقبول ان يكذب الطبيب على مريضه الذي لا امل عنده في الشفاء .. وقد رد الخبراء الطبيون عى ذلك التساؤل في اثناء مؤتمر طبي عقد اخيرا في لندن . واجمع الاطباء على ان المريض اذا علم ان هناك شعاعا من امل امامه سيكون اسعد حالا من المريض الذي يقال له لا امل هناك البتة . ولم يعارضهم في ذلك سوى طبيب واحد (وكان عددهم ٢٠٠) قال ان الكذب حتى ولو على المريض خيانة للامانة علاوة على ان المريض اذا علم بالحقيقة فانه لا شك يكون اسعد حالا ـ عى الاقل في العالم الاخر ـ حيث سيعلم الحقيقة قطعا !

● تجرب الان في معالجة المصابين بسرطان الرئة حبوب كروية مصنوعة من ايريديوم ذي نشاط اشعاعي تغرس عميقا في النسيج المصاب، وذلك عندما يكون اجراء الجراحة متعذرا ويقول الدكتور وليم واطسون ان المعالجـة تبشر بامل كبير ، عى الرغم من انها لا تـؤد الى الشفاء . ان فريقا من الـ ٢٣٦ مريضـا الذين عولجوا ، حتى اليوم ، بهذه الطريقة ، ظلوا على قيدالحياة خمس سنوات على الاقل . ويعد سرطان الرئة واحدامن اكثرانواع السرطان تزايدا وانتشارا . وهو حين يكتشف فيوقت مبكر يكون في امكان الطبيب معالجته بالجراحة ولكن نصف المرضى يكونون عادة قد انتهوا الى مرحلة لا تجدي فيها الجراحة . وقد جـرت العادة بان يعالج هؤلاء باشعة اكس بيـد ان الدكتور واطسون يقترحان يستعاض عن اشعة اكس بالمعالجة بالايريديوم. وانما تغرس الحبوب الكروية عندما تجرى للمريض عمليـــة استكشافية يقصد بها معرفة المدى الذي بلغه الورم الخبيث وميزة المعالجة الجديدة علـى المعالجة باشعة اكس انها تتيح اعطاء المريض جرعة اكبر حيث ينبغي ذلك ـ في منطقـة السرطان ، على حين ان الانسجة الصحيحـة المجاورة تظل سليمة .

● فقد سدني برادفورد وعمره اليـوم ٥٢ سنة نظره وهو في الشهر العاشر . واخيـرا راى النور لاول مرة منذ ٥١ سنة ، اذ اجريت له عملية استبدال بؤبؤي عينيه ، بفضـل وصية رجل مات قبل عيد الميلاد ، واوصى باستعمال بؤبؤيه لشفاء اعمـى ، فكانـت العملية . وقد قال برادفورد لمـا راى اول مرة : « انها لحياة جديدة تبدأ امامي ! مـا اتعس العيش لمن لا يرى امامـه الا غشـاء اسود ! » وكان اول من راى وجه زوجته

● تحدى اول مؤتمر دولي للاشخاص الذين يقومون بشفاء المرضى النقابة الفرنسيـة الوطنية للاطباء بالسماح لمحترفي هذا النـوع من المعالجة ، بتولي معالجة المرضى الميئوس من شفائهم . وتعهد المؤتمر انه في حال عجز هؤلاء عن شفاء ٧٦ بالمئة من الحالات التـي اعتبرها الاطباء ميئوسا من شفائها ، فانهـم سيتوقفون عن مزاولة هذه المهنة . والهدف الرئيسي للمؤتمر الذي انعقدت جلساته في باريس هو وضع اسس اتحاد دولي للاشخاص الذين يقومون بشفاء المرضى . وحضر المؤتمر اكثر من ١٠٠ شخص من جميع انحاء فرنسا ، وحضره مراقبون من المانيا وايطاليا وبلجيكا وكندا والبرازيل .

● قام جماعة من الباحثين الانجليز بجمع اعقاب السجاير في بريطانيا ومقارنتها باعقاب

السجاير التي يلقيها المدخن الامريكي فاكتشفوا ان الرجل الانجليزي يلقي العقب بعد ان يدخن ٧٥٪ من السيجارة ، اما الامريكي فيدخن ٦٠٪ فقط من السيجارة ، قال الباحثون انه من المحتمل ان يكون ذلك سببا في ازدياد نسبة الوفيات بسرطان الرئة في بريطانيا عن الولايات المتحدة

● صرح الدكتور سلجمان الخبير السويسري في الطبيعة النووية وشؤون الوقاية من الاشعاعات الذرية بانه يحتمل ان يكتشف العلم بعد ٣ سنوات عن عقار يتناوله الانسان فلا يخشى التعرض للاشعاعات الذرية . ويتقي اضرار المواد المشعة من حروق وسقوط الشعر وتأثيره على النسل وامراض اخرى قد تفضي الى الموت العاجل او البطيء .

● ذكر ان العلماء الروس يعملون على تنشئة توأمين سياميين على امل ان يصبحا من العلماء ويستفيدا من عاهتما للمساهمة في زيادة معرفة الانسان بتكوينه الجسماني . وقد اعلن هذا الامر الدكتور تيزارد احد اعضاء مجلس الابحاث الطبية البريطاني في مقال نشره في مجلة الطب البريطانية . وكان الطبيب البريطاني قد توجه الى الاتحاد السوفياتي في يونيو الماضي حيث امضى ثلاثة اسابيع كمستشار لمنظمة الصحة العالمية للاستيضاح عن الاعمال التي يجري انجازها هناك لتطبيب الاطفال ذوي العاهات . وقال الدكتورتيزارد ان التوأمين هما فتاتان جميلتان تدعيان ماتشا وداتشا وعمرهما ثمانية اعوام وهما متصلتان ببعضهما عند اسفل الظهر الا انهما منفصلتان من الخصر فما فوق . والجهاز العصبي لكل منهما يعمل بصورة مستقلة وكل فتاة تتحكم باستعمال واحد من الساقين . اما الساق الثالثة وهي هزيلة قليلا وتنتهي بقدم مزدوجة فيتحكم بحركتها التوأمان كما يقتسمان الدورة الدموية .

● بدأت المستشفيات في بريطانيا تستخدم الاجهزة الذرية لاجراء العمليات الجراحية الدقيقة ، كجراحة الدماغ ، دونما حاجة الى قطع الجلد او العظم ! فلم يعد الجراح الان بحاجة الى استخدام المشارط والالات الجارحة الاخرى اذ باستطاعته توجيه شعاع ذري الى المكان الذي يريد معالجته داخل الدماغ . وقد اجريت اخيرا عملية جراحية لرجل يبلغ من العمر ٥٤ سنة كان يشكو من ألم شديد في رأسه وبانحطاط بالغ . وقد تبين بعد فحصه ان هناك تضخما في احدى خلايا الدماغ ، فوجه الطبيب شعاعا ذريا الى التضخم دون ان يعطي المريض اي منوم اثناء العملية . وكانت النتيجة ان قضى الشعاع الذري على التضخم واسترد المريض عافيته .

● اكتشف في صحراء مدينة الاقصر بمصر مناطق غنية بالمواد المشعة يرجح انها من اليورانيوم

● وصل الى كراتشي وفد من الخبراء في النفط لانشاء مصفاة للنفط تكلف ١١ مليون ونصف مليون استرليني . وستخصص المصفاة لتكرير حوالي مليون ونصف مليون طن من النفط الخام بالسنة وسيؤدي ذلك الى ادخار حوالي مليوني استرليني بالسنة من النقد الاجنبي الذي يصرف على استيراد منتوجات النفط .

● سيجري تحويل مياه نهر ارتيش ، وهو اهم ساعد من السواعد اليسرى لنهر اوبي السيبيري ، بواسطة قناة الى كازاخستان الوسطى حيث برزت الى الوجود في السنوات الاخيرة منطقة صناعية هامة في الاتحاد السوفياتي . وسيبلغ طول هذه القناة ٤٥٠ كيلومترا وعرضها اكثرمن ٢٠ مترا فتربط نهر ارتيش بمدينة كاراغندا . وثمة ١٤ محطة ضخ جبارة سترفع مياه ارتيش الى علو يبلغ ٤٢٠ مترا . وعند مصب القناة سيبلغ حجم المياه ٥٠ مترا مكعبا في الثانية .

● تم في بريطانيا اخيرا صنع جهاز الكتروني جديد يدعى ((اميديك ٢٤٠٠)) يستطيع ان يستوعب كل ما تحتوي عليه الموسوعة البريطانية (المؤلفة من ٢٤ مجلدا ضخما) من معلومات في مدة لا تتجاوز اربع دقائق !. اما ثمن هذا الجهاز فيقارب نصف مليون استرلينية . وقد صمم خصيصا ليباع في الاسواق الاميركية . وهناك جهاز مماثل اصغر حجما هو ((اميديك ١١٠٠)) يتراوح ثمنه بين ١٠٠ و ٢٠٠ الف جنيه حسب عدد وحدات الاجهزة العلمية المركبة فيه . ويمكن زيادة فعاليته من الحد الادنى الى الحد الاقصى باضافة جهاز اخر يمكنه مواجهة الطلبات الجديدة التي يطلبها الشخص الذي يدير الجهاز .

● اقترح المهندس برنار كاجنسكي ، واضع مشروع مكافحة جفاف بحر قزوين والرياح الجافة التي تحدث جفافا مرعبا في المنطقة الواسعة من حوض الفولغا الواطيء ، اقترح ان تصب مياه البحر الاسود في بحر قزوين . ان انخفاض مستوى مياه بحر قزوين ما يزال مستمرا كما تدل عمليات التخمين الجارية منذ امد بعيد ، وفي غضون ١٠ او ١٥ عاما سينخفض هذا المستوى ايضا مترين على الارجح . مما يشكل خطرا على الملاحة وصيد السمك . ويقترح المهندس كاجنسكي شق قناة بحرية تجري فيها المياه بصورة طبيعية على مسافة تبلغ ٩٠٠ كيلو متر وتصل البحر الاسود (قرب مضيق كيرتش) ببحر قزوين قريبا من مدينة ماخاتش كالا (عاصمة داغستان) . وبالامكان شق هذه القناة بواسطة الالات الحديثة في غضون عامين . وينبغي ان تمر هذه القناة في منخفض كوما مانيس المرتفع قليلا عن سطح البحر . وستصب القناة كل عام ٦٢ مليونا و ٥٠٠ الف متر مكعب من مياه البحر الاسود في مياه بحر قزوين وارتفاع مياه البحر الاسود عن مياه بحر قزوين سيتيح انشاء مركز كهربائي على القناة تبلغ قدرته ٤٥٠٠٠٠ كيلوواط . واذا تم تحقيق المشروع فسيصبح بالامكان استخدام مياه الانهر العذبة التي تصب في بحر قزوين من اجل ري اراض في احدى اكثر مناطق الاتحاد السوفياتي جفافا . وفي الوقت نفسه يقترح برناركاجنسكي انشاء سلسلة من القنوات الصغيرة والبحيرات الاصطناعية بين بحري قزوين والاورال . ومن المعتقد ان الرياح التي تسبب الجفاف في منطقة الفولغا تنشأ من هذه الاماكن ووفقا لفكرة كاجنسكي فان من شان البحيرات الاصطناعية التي تنشأ على مساحة اجمالية تقارب ٦٠ الف كيلو متر مربع ان تحول الريح الساخنة الاتية من الشرق الى ريح فاترة ورطبة قبل ان تصل الى منطقة الفولغاو جنوبي اوكرانيا . وهو امر يلاحظ في الطبيعة . فالريح السموم (ريح جنوبية شرقية حارة) التي تعصف من الصحارى الافريقية تسبب في تبخر البحر الابيض المتوسط وتتحول قريبا من شواطيء صقلية الى ريح فاترة ورطبة .

● جرى اخيرا في مصرف ((فيرست ناشونال بنك اوف بوسطن)) تركيب اكبر جهاز الكتروني في اي مصرف من مصارف العالم . ومهمة الجهاز حل بعض المشكلات الناشئة عن زيادة الاعمال الكتابية في البنك . وهذا الجهاز ، الذي يبلغ ثمنه مليون و ٧٥٠ الف دولار ، يسجل في ٢٢ دقيقة فقط جميع عمليات التعامل بالشيكات الخاصة بحسابات البنك البالغ عددها ٣٠٠ الف حساب . اما الاشرطة فتسجل عليها جميع السجلات الرئيسية لحسابات الزبائن .

● انتشرت في اوروبا واميركا الماكينات التي توضع فيها قطع النقود الصغيرة لشراء مختلف البضائع من ماكل ومشرب وملبس . وقد رأت احدى الشركات ان تحث الناس على شراء بضائعها من هذه الماكينات ، وهي ماكينات تقدم ٢٠ نوعا من الحلوى ، فاذا وقع اختيارك على نوع من هذه الانواع ووضعت قطعة النقود وضغطت على الزر

الخاص بذلك النوع ، فانك تحصل على ما تريد ، ثم تسمع لحنا موسيقيا يخرج من جنبات هذه الماكينات ، فتتمتع بالموسيقى وانت تتناول الحلوى .

● ازداد انتاج الارز على الطريقة اليابانية بمعدل ضعفين ونصف في كل اكر من الارض وذلك في منطقة تنمية القرى بشرقي الباكستان . وقد دهش المزارعون لهذه الانجازات وقرروا استخدام الطرق اليابانية لزراعة الارز في المستقبل .

● اكتشف عالم الاثار ميخايل ماسون في مدينة ماري (تركمانيا) المبنية في المكان الذي كانت توجد فيه مدينة خوراسان القديمة ، آثار المسجد الاول الذي بناه العرب في اسيا الوسطى في اواخر القرن السابع ميلادي . ولم يكن هذا المبنى النادر من الثقافة العربية المدعو « مسجد الجمعة » معروفا الا في المخطوطات القديمة .

● اكتشفت بعثة استطلاعية من كبار العلماء ، ببحر يقع بجهة « البيرو » ، اسماكا من جنس كان يظن انه امحى منذ العصور البدائية . وهذه الاسماك تعيش الان في عمق يبلغ ستة الاف متر وهي تموت في الحين بمجرد صعودها الى سطح البحر .

● صرح الفلكي الياباني الدكتور تسونيو ساهيكي ، رئيس اللجنة للجمعية الفلكية باسيا الشرقية المكلفة بدراسة المريخ بان بقعا مضيئة مجهولة شوهدت في المريخ في نقاط عديدة من اليابان .

● وضع الفلكي الياباني البروفسور شوتاروميا موتو مدير المرصد الفلكي في هنياما التابع لجامعة طوكيو وضع نظرية مفادها بان خطوط الكوكب المريخ التي اعتبرت منذ زمن كاقنية هي اثار تركت من ابخرة المياه الصادرة من ذوبان الثلوج من القطب الجنوبي في الكوكب .

● يقول احد الاساتذة البريطانيين ان نوح الذي انتصر على الطوفان العظيم كان اشقر اللون . وقد اثبتت ذلك مخطوطات ابوكريفا والبحر الميت . فقد ذكر سورسبي استاذ الابحاث في كلية الجراحين الملكية نقلا عن مخطوطات ابوكريفا ان نوح عند ولادته كان ذا بشرة بيضاء مثل الثلج وكان شعره ابيضا مثل الصوف وكانت عيناه ترسلان وميضا خاطفا مثل اشعة الشمس .

● صرح البروفسور دون بيترو بيتزى من كبار علماء الفلك الايطاليين بان الانفجارات في الشمس قد بلغت درجة لم يسبق لها مثيل منذ ٣٧ سنة . وقال البروفسور بيتزى ان فجوتين ظهرتا على الشمس واصبحتا ظاهرتين بوضوح بالعين المجردة ومضى يقول ان الفجوتين تبعتا ظهور بقعة شمسية طولها ١٥٠،٠٠٠ كيلومتر وكانت اخر بقعة من حجم مماثل قد سجلت سنة ١٩٢٢

● اعلنت سفارة روسيا في مدينة بون بالمانيا نتائج البحوث التي قام بها الفلكي « تيشوف » بمرصد « بويكوفو » معتمدا على صور التقطها لكوكب المريخ ، استنتج من تلك البحوث انه لا يشك بوجود قنوات في ذلك الكوكب . وقد تبين ـ حسب العلماء الروس ـ من تحليل الصور ان عرض تلك القنوات يتراوح من مئة الى ستمئة كيلومتر ويظهر كذلك ان هذه القنوات ليست مملوءة بالماء ، اعتمادا على التغيرات التي تطرأ على الالوان حسب فصول السنة ، ولكنها قد تكون « شريطا » من النباتات تنمو على طول مجاري المياه تحت الارض ، هذه المجاري العظيمة التي تجلب المياه من القطبين بعد ان تذوب الثلوج في فصل الربيع بالنسبة



للكوكب (المريخ) . ويؤكد الملاحظون الروس نظرية وجود مجاري المياه تحت الارض معتمدين فى ذلك على ان القنوات فى بعض الصور لا تظهر على شكل خطوط ولكن على شكل نقط متتابعة فى خط مستقيم ، وقد تذكرنا هذه النقط بواحات الصحراء حيث تلتف النباتات بكثرة حول كل بئر من الابار .

● صرح العالم دانجون ، مدير مرصد باريس، بان الارض تدور اسرع من المعتاد عندما يقع فى الشمس نشاط غير عادي . وقاس بدقة متناهية ، مستعينا بالة صنعت فى فرنسا ، تقلبات الطقس فى اثناء دوران الارض ، وطول النهار الذي كان ينقص بنسبة سبعة ميكو من الثانية فى اليوم الواحد حتى شباط ١٩٥٦ . وفى ذلك الوقت ، حدث انفجار هائل فى الشمس ، وظلت نسبة الانفجار مرتفعة حتى هذه السنة . ومنذ بدء هذه الظاهرة في الشمس ، بدأ النهار يطول بمعدل ثلاثة ميكو من الثانية يوميا . ويبدو من الارجح ان بين الظاهرتين اتصالا وان هناك علاقة بين الغسق الناتج عن الشمس ومدى الجاذبية فى الارض .

● تامل مديرية الاثار العامة بدمشق ان تساعد الحفريات التي قامت بها بعثة جامعة برلين فى تل الخويرات بمحافظة الجزيرة على معرفة تاريخ المملكة الميتانية التي قامت فى تلك المنطقة فى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، والتي لا يعرف عنها الا القليل حتى الان . هذا وتل الخويرات الذي قامت البعثة بحفرياتها فيه له شكل مستدير يحيط به سور مزدوج يبلغ قطره نحو ٩٠٠ متر . وقد تبين ان التل يحتوي على مدينة كانت عامرة بالمباني العامة والمعابد الا انه لم يتوصل الى معرفة اسم هذه المدينة بعد .

● كتبت صحيفة ((الفلاسكو هيرالد))تقول: تبدل طراز الاستكشاف وارتياد المجهول من معالم الارض فى القرن العشرين . فالرائد في يومنا هو عالم لا تاجر مغامر ، وهدفهمعرفة تكوين التربة والصخور وكيفية زحف الثلوج. فانما هو يذهب في مغامرته غير مسلحبالبنادق، بل بالادوات العلمية المديدة . ولقد تمت مغامرة الدكتور فيفيانفوكسفي ارتياد مجاهل القطب الجنوبي على اساس هذا الطراز الجديد من الاستكشاف والارتياد . وعاد منها وغنيمته جعبة من المعلومات القيمة . وتحدث الدكتور فوكس عن مهمته هذه فقال : اصبح باستطاعتنا الان ان نعطي حكما اوليا على حقيقة ما تؤديه هذه الرحلة البطولية الى العلم . وتم فى الرحلة هذه وضع خرائط للقطب الجنوبي ، كما تمت دراسات اقليمية وكيفية تكوين صخوره وتربته ، بالاضافة الى ان القدر الكبير من معمياته قد وجدت لها حلا ناجما واصبحنا ندرك الان ان بين طبقاته الجليدية الهائلة تقوم قارة فوق مستوى المياه بما فيها من تلال واودية وسلاسلجبلية. وبامكاننا اليوم ان نحكم من بقايا الحيوان والنبات فى تلك المنطقة ان القطب الجنوبي كان يوما من الايام اكثر دفئا وحرارة مما هو عليه الان . وبالاضافة الى ذلك كله قامت البعثة بدراسة رد الفعل البشري من الناحية العضوية والحياتية ازاء فعل البرد القارس الشديد وباستطاعتنا ان نفاخر قائلين ان الروحية المتجردة من حب الذات التي ابداها افراد البعثة فى هذه المغامرة الرائعة ستكون عبرة لجميع المغامرين فى تاريخ الانسان .

● قالت المؤسسة الجغرافية الاميركية ان ثلاثة من كبار الاخصائيين فيها يؤكدون انشكل الكر ةالارضية هوكشكل الاجاصة ،واما العلماء فهم الدكتور رواف ، والانسة ان ايكاس ، والدكتور كارول سكواير . ويقول هؤلاء ان المعلومات التي استقوها من الصاروخ فنفارد تدل على ان الكرة الارضية تمتد عريضة في الجنوب بينما تنتهيفىالشمال علىشكل نقطة. وهذه هي اهم وجهات نظر العلماء الاميركيين الذين اعربوا عن هذا الرأي :

١ ـ ان مستوى ارتفاع البحر فى المنطقة المتجمدة يزيد عن المستوى الذي حدد سابقا

٢ ـ بعكس القطب الشمالي كان مستوى ارتفاع مياه البحر فى القطب الجنوبي ينخفض عن المستوى الذي كان محددا فى السابق .

٣ ـ يدل ثقل وزن الماء الاضافي فى القطب الشمالي على ان القشرة الارضية تستطيع ان تتحمل اثقالا اكثر من الحد المعترف به حتى الان ، وهذا يدل على ان قلب الكر ةالارضية ليس طريا كما يقال !

● قررت فرنسا تحقيق مشروع انشاء راديو تلسكوب هائل يندر مثيله فى العالم . فقد بدأت فرنسا تهتم اكثر فاكثر بما يجري فى اجواء السماء . وسيقام هذا الراديو تلسكوب فى نانسي داخل منطقة منعزلة من محافظة سولون . وهذه المرآة المقعرة تتلقى الموجات الكهربائية الاثيرية القادمة من النجوم وتجمعها في مقرها . وطول المرآة المذكورة ٣٠٠ متر وارتفاعها ٣٥ مترا .

● صرحعالم امريكي للاثار يقوم بالتنقيب عن قصر الملك ميدا فى تركيا على رأس بعثة تنقيبية ان هذا الملك الذي تفيد الاساطير انه كان اذا لمس شيئا تحول الى ذهب ، يظهر انه كان غنيا جدا خلافا لما روته الاسطورة . وان اليونانيين نقلوا عن ميدا اسطورة لمس الاشياء لانهم كانوا على علم بثرائه . وان افراد البعثة يأملون العثور علىكنوز هذا الملك الخيالي .



من وحي مؤتمر الادباء : جامعة الكويت

بقلم يوسف اسعد داغر

من معالم التجدد الجذري فى الكويت ، النهضة التربوية واليقظة الفكرية التي تبرز على اتم صورة فى هذه الاجيال من الطلاب والطالبات ، ينهلون العلم من حياضه النميرة ، ممثلة بهذا العدد العديدمن المدارس الابتدائية والثانوية التي تبرزعلى احسن ماتكون نموذجاوهندسة ونهجا . وقد اعطينا عنها بعض الاحصائيات البليغة المدلول فى مقالنا الاخير .

وهذه النهضة التي لا تزال بعد ، فى مراحلها الاولى ، لا شك انها بالغة، مع الزمن القريب ، الذروة من التمام والكمال ، بعد ان توفرت لهاالاسباب الكفيلة والمقومات الاصيلة ، من مادية وروحية . ان سنة التطور الخلاق والتكمل تقضي ان تستكمل هذه النهضة اسبابها بانشاء جامعة عليا للكويت يأتي بروزها تتمة للنهضة القائمة وتتويجا لها ، فتتم بها دورة التعليم فى البلاد ، فى شتى ادواره .

قوام الجامعة

وهذه الجامعة التي لا ندحة عن وجودها فى القريب العاجل سياتي تكوينها وبروزها نتيجة منطقية لهذا التطور الجذري الذي اخذت البلاد باسبابه الصحيحة والتي قطعت فى سبيله المراحل الحثيثة التي لم يسبق ان شهد مثلها التاريخ . ان وجود جامعة كبرى فى الكويت ، سيضيف حلقة جديدة الى سلسلة الجامعات التي تعمل فى خدمة الثقافة العربية وحقل الفكر العربي وتجليته ، ليس فى الكويت فحسب ، بل وفى عدد كبير من اقطار العروبة ، فيتوافد اليها الطلاب ، من هذه الاقطار على شكل ما يفعلونه اليوم ، طلبا للتحصيل فى مدارسه الثانوية والفنية المهنية.

وهذه الجامعة التي نطالب المسؤولين عن نهضة الكويت الفكرية التخطيط لها من اليوم ، ليس من الضروري لها ولا من الموجب ان تنشأ جميع كلياتها ومعاهدها دفعة واحدة ، بل ان امر هذه الكليات والمعاهد العليا التي تتالف منها كل جامعة يترك لمقتضيات الثقافة فى البلادوحاجاتها العارضة ، فالطفرة من المحال .. والتطور يأتي على مراحل وادوار مقدورة .

ان احوج ما يحتاجه العرب اليوم ، واشد ما يتحسسونه فى صميم نفوسهم هو العلم ، والثقافة العلمية ، والتفكير العلمي . فالعلم وحده يخرج هذه الامة من الحيرة التي يتردى فيها الشباب العربي ، ويخلصها من هذه الميوعة فى الافكار والاراء ، والاخلاق والسلوك التي يتسم بها الشباب العربي الهائم وراء اشباح ومرئيات هي من خلق الادب وبعث الادب . نحن العرب فى تخمة قاتلة مما عندنا من كليات الادب واللغة ، والمعاهد الادبية ، والنوادي الادبية ، والمجلات الادبية التي تغذي الافكار والقلوب فى العالم العربي اليوم ، بالغيبيات والعنديات . فوالله لو الغينا نصف هذه الكليات الادبية والمعاهد التي تقف نشاطها على تعلم الادب فى شتى مظاهره واستعدنا عنها بمعاهد للعلوم وبالمخابر العلمية والمختبرات، لكنا خطونا بعيدا في التمكين لاسباب الحياة لهذه الامة ، دون ان نخسر شيئا يذكر .

كليـة العلـوم نـواة الجامعـة

ولذا نحن نرى ان الجامعة التي نقترح على اولي الامر فى الكويت التفكير بها منذ الان ، والعمل على انشائها ، يجب ان تبتدىء بكلية للعلوم وللعلوم فقط ، في المرحلة الاولى من تاريخ تطور التربية الجامعية في الكويت . ولعل أشد ما يحتاج اليه العرب اليوم ، فى كل قطر وصقع هم العلماء الاخصائيون بشتى العلوم ، من نظرية وتطبيقية . ولعل اضعف جانب من حياتنا العلمية ونشاطنا العلمي هو افتقارنا للاخصائيين بالعلوم عامة ، وبالعلوم الذرية والمباحثات النووية خاصة . فنحن ، فى هذاالمضمار، فى فقر مدقع وفراغ مخيف ،بينما نرى الغرب واعداءنا الاقربين يقطعون منذ ١٥ سنة اشواطا بعيدة فى هذه المجالات،بينما نحن نقتصرعلى الوقوف مشدوهين بما نسمع ونشهد

هل تعلم يا قارئي العزيز ، ان اسرائيل ، قطعت ، فى هذا المضمار ، مضمار العلوم الذرية وتدريسها وتطبيقها ، مراحل بعيدة تجاوزت كثيرا ما وصلت اليه بعض الدول الكبرى فى الغرب ؟

هل تعلم يا قارئي السادر ، ان فى اسرائيل اليوم من المختبرات العلمية القائمة فى راحبوت (جنوبي اللد) جنوبا ، وفى حيفا ، شمالا ، مالا يتوفر مثله لكثير من الدول الكبرى فى الغرب . ويشرف الان على هذه المؤسسات العلمية وما اليها من مختبرات تغص باحدث اجهزة البحث والتسجيل والرصد ، فطاحل من العلماء الافذاذ ، ومن الاختصاصين الدهاة بالعلوم النووية الذرية ، ليس فى كبريات الدول الغربية ، من يبزهم علما وفنا .

فاذا تم لاسرائيل « المزعومة » مثل هذا الحول والطول فى العلم ، وهي تعاني ما تعاني من تحكم ازمة اقتصادية خانقة وحصار يضيق عليها الخناق ، واذا ما استطاعت ان تقيم للعلوم النووية فى ارضها مثلما اقامت ، فلماذا لا يتم للعرب ، عن طريق الكويت ، بعض هذا الذي وضعت اوكله ، والكويت اليوم ، اكفأ البلدان العربية ، طاقة مادية ، كما انها قوية الشعور بالانفتاح والتطور البناء . ؟

واني عندما ادعو حكومة «شيخة الكويت للتفكير جديا منذ الان بانشاء جامعة فى الكويت ، وبالبدء منها بكلية للعلوم وبجعل العلوم النووية فيها فى مقدمة العلوم التي تدرس نظريا وتجرب مخبريا ، لا اراني اسبح فى السديم ولا اجري وراء الظل ولا اهيم فى الخيال ، فقد تبينت عن كثب ، خلال مكثي القصير فى الكويت ، الامكانيات المادية والروحية الهائلة التي تكمن فى نهضة هذا البلد ووعي شعبه ، وانفتاح الفكر امام المسؤولين فيه في ما يضعون من تصاميم المشاريع والانشاءات الجبارة .

وانا اعتقد اعتقادا راسخا ان الكويت ، بما لمست فى اولي الامر فيه، من عزم صادق وايمان وطيد ، واستعداد كلي ، لا يتاخر قط عن القيام ، باسرع ما يمكن ، بهذه الخطوة البناءة ، وبهذه الخدمة البكرله وللعرب جمعاء على ضوء مصلحة العرب ، بعد ان تهيات له الاسباب القريبة والبعيدة ، مهما كلفه ذلك من بذل وتضحيات عزيزة .

ومضيا منا فى التصميم لهذه الجامعة الكويتية ، نرى ان تعمد حكومة الكويت الكريمة ، ولا سيما دائرة المعارف فيها وعلى راسها الشيخ عبدالله الجابر الصباح ، منذ الان لارسال البعثات العلمية من بين نجباء طلاب العلم فى الكويت ، للتخصص بالعلوم فى جامعات الغرب وتامين الاخصائيين، فى العلوم الذرية والنووية ، حتى اذا ما عادوا بعد سنوات حاملين شهادات التخصص نظريا ومخبريا ، كانوا على استعداد للقيام بالمهمة التي ستلقى على كواهلهم

كذلك نقترح على اولي الامر ان يطلبوا من مختلف كليات العلوم فى الجامعات القائمة فى العالم العربي ، تزويد رئاسة المعارف بالكويت ، باسماء المتفوقين والمجلين فى العلوم من طلابها ، بحيث ترسل بعد التعاقد معهم من يقع عليه الاختيار من الطلاب المبرزين ،للتخصص على حسابها

فى العلوم والموضوعات التي سيتألف منها منهاج الدراسة فى كلية العلوم، فى الجامعة الكويتية

كذلك بامكان الحكومة ان تتعاقد ، مع هذه القلة من الاخصائيين بالعلوم النووية فى العالم العربي اليوم ، وعددهم على ما نعرف لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة، مع غيرهم من الاخصائيين الاجانب لوضع مخططات وتصاميم المختبرات العلمية على انواعها مما لا بد منه لكلية العلوم لتأمين العلوم النظرية والمخبرية . وهكذا لن يمضي وقت طويل الا ويكون تم للكويت من الاخصائيين فى العلوم ما يجعلها ، على صغرها وقلة سكانها ، فى مقدمة البلدان العربية علو كعب وعلاء شأن بالعلوم ، فتكون هذه الكلية نقطة انطلاق من جامعة الكويت المرجوة .

معهد للاحياء المائية

وبعد ان يشتد ساعد كلية العلوم فى جامعة الكويت وتعرق اصولها فى الارض يحسن بان تعمد ادارة الجامعة ورئاسة المعارف الى تأسيس معهد للاوقيانوغرافيا يكون من الصق مهامه دراسة الاحياء المائية وطبيعة الحياة فى البحار التي يطل الكويت عليها والتي يعتمد عليها الى حد بعيد في غذائه وملبسه ومشربه .

يتصل الكويت مباشرة بالبحر ، بالخليج العربي ومنه ببحر العرب ومن ورائه المحيط الهندي وبما اليه . فقد عول الكويت والكويتيون امادا طوالا واجيالا متطاولة فى تأمين اسباب العيش والرزق ، على البحر ونشدوا ما فيه من در وغذاء . وهذا البحر نفسه ، سيطبع صميم الحياة فى الكويت الى اجيال واجيال ، بعد ان تاخذ البلاد فى التحرر ، بفضل التطور الاخذة باسبابه ، من معالم البداوة والصحراء التي طبعت حياة هذه المشيخة من مئات الاجيال .

ان البحر لم يسهم الان فى توفير اسباب غذاء الانسان الا بنسبة واحد فى المائة من مجموع ما يستهلكه انسان العصر فى ماكله ومشربه ، مع ان البحر ، وهي حقيقة يجهلها الكثيرون لا يقل خصبا وعطاء عن اخصب بقاع اليابسة ، حتى ان بعض العلماء يرون ان الفدان الواحد من البحر يحمل فى ثناياه ، من الامكانيات الغذائية اكثر مما يحمله منها ، فدان واحد من الاراضي الخصبة .

جهد الكويتي من قبل ، فى تامين اود الحياة وتوفير مقوماتها ، فاعتمد من جهة الى حد ضعيف ، على ارضه القاحلة ، كما اعتمد من جهةاخرى، الى حد بعيد ، على ما فى بحره من موارد العيش والرزق وما يوفر له البحر من سبل النقل والمواصلات والاتجار . والكويتي لا يزال يتخذ من البحر اليوم ، ومن الجو اكثر فاكثر ، طريقا لتامين القسم الاكبر مما يحتاج اليه من معايشه ، بعد ان تطورت منه الاحوال ؛ وتنوعت لديه ، في الاونة الاخيرة ، مناهج العيش ورحبت بالتالي لديه ،السبل الميسرةله.

ولما كان على الكويت ان يعول ، الى ما لا نهاية له ، على البحر ، في القسم الاوفى من معايشه ، ترتب عليه ان ينصرف بكليته الى استكشاف طبيعة هذا البحر الذي يرتبط به مصيره الى حد بعيد ، ودراسة مياهه دراسة كيماوية وحركات مياهه ، وسبر اعماقه وما يخضع له من مد وجزر ومجار وتيارات سطحية وجوفية ، والكشف عما في ثناياه من الاحياء السابحة على انواعها العديدة ، وما يصلح منها اكلا له وغذاء .

ان البحار فى ذاتها منبع من منابع ثراء الامم . وقد وجد الانسان فيها ، منذ القدم ، غذاءه ودواءه وزينته فاتخذ من المرجان والاصداف الزاهية واللآلىء والدرر وكلها افرازات احياء بحرية ، حلى له .

والثابت ان الاقيانوغرافيا كعلم ، هي نتيجة الاستطلاع وفضول العقل والفكر معا قبل ان تكون نتيجة الرغبة فى الاستفادة والافادة . ولهذا البحث يدور على البحر قيمة عملية ولا شك غير ان قيمته الكبرى التي تفوق كل شيء هي البحث عن المعرفة او قل : « العرفان للعرفان » . فالكويت عندما ياخذ بتأسيس مثل هذا المعهد ، يرتفع مع صغر رقعته ، وطراوة عهده بالنهضة الفكرية واليقظة العلمية ، الى مصاف الدول التي اعرق فيها البحث العلمي . ويكفي الكويت بذلك فخرا .

ان تأسيس معهد للاوقيانوغرافيا يتولى دراسة الاحياء المائية فى بحاره الملاصقة له او المجاورة لها ، لمشروع ياتي بمنافع عديدة لا تقتصر على الكويت وحده ، بل تعم سكان الجزيرة العربية باسرها ، فيعود ذلك تباعا بالخير العميم ، على الملايين من الاقوام الضاربة فى رقعتها ، فيوفر لهم موارد رزق جديدة .

ثم ان فى انشاء مثل هذا المعهد للاوقيانوغرافيا احياء وبعث لتقاليد الملاحة البحرية عندالعرب فىالاجيال الوسطىالمتاخرةومطلعالعصر الحديث. فقد قدم العرب ، فى تلك الاجيال وما بعدها حتى مطلع العصر الحديث ، الكثير من مهرة الملاحين والربابنة ، الذين قادوا السفن التي مكنت البرتغاليين والاسبان من القيام بالاكتشافات الجغرافية الحديثة المثيرة . ولما اجتاز فاسكودي غاما ، عام ١٤٩٨ ، رأس الاعاصير فى الطرف الجنوبي لقارة افريقيا والذي اطلق عليه ملك البرتغال ، فى ما بعد ، اسم : « الرجاء الصالح » كان يقود سفينته ربابنة عرب . وقد لاحظ دي غاما ان السفن العربية التي وقع بعضها فى اسره تحمل آلات ملاحية ، ليس منها شيء فى سفن الغرب ، منها البوصلة . فكتب فى يومياته يقول : « وسفن هذه الناحية كبيرة ذات اسطح ، وليس فيها مسامير . ولدى الربابنة بوصلات يوجهون السفينة بواسطتها وآلات للملاحة وخرائط بحرية »

واستعان البرتغاليون باحمد بن ماجد النجدي ، (١) احد ربابنة العرب الافذاذ فى الملاحة فاستخدموه كضابط الملاحة فى السفن الحديثة فدلهم على مواطن الهلكة عند مداخل المحيط الهندي القريبة من شواطىء افريقيا فتجنبوها . وهو الذي قاد فاسكو دي غاما فى بحر الهند لما كان يعرفه من ركوبه متنفعا برياحه الموسمية فكان وصول دي غاما الى الهند ايذانا بافول نجم السؤودد في الشرق . وعقبه البوكيرك وفتح القلاع العربية على شواطىء بحر العرب والخليج العربي وبحر الهند .

وهذا المعهد الذي نقترح انشاءه لدراسة الاحياء المائية ، لا نقصد منه ان يكون نسخة طبق الاصل ولا تضعيفا لمحطة الاحياء المائية التي اقامتها مصر عند رأس غارب ، على سيف البحر الاحمر فى الصحراء الشرقية . فالمحطة المذكورة ، كما تبلورت لنا صورتها من خلال ما طالعناه عنها ، اعجز بما وضع لها من تصاميم ومدت به من اجهزة ، من ان تفي بحاجة معهد للاوقيانوغرافيا ، حديث التخطيط والتجهيز ، يكون له من النشاط والمدى والعمل والهدف ، ما يضؤل حياله عمل محطة الاحياء المائية المصرية على البحر الاحمر . ان المحطة المصرية يقتصر عملها على البحر الاحمر ونطاقه الضيق ، بينما معهد الاحياء المائية الذي نريده للكويت ، يستشرف دراسة مياه الخليج العربي وبحر العرب ، وما اليه من مشارف المحيط الهندي ، ودرس ما يتصل منها بحركة التيارات المائية : السطحية والجوفية ، والاحياء المائية وهجرة الاسماك ومصايدها، الى غير ذلك .

ولا يقولن قائل ان الكويت أعجز من ان يقوم الان ، وفي المستقبل الطالع ، بمثل هذا المعهد للاحياء المائية وذلك لفقره الاساسي للعلماء المختصين بهذه المباحث ، ولانعدام الاجهزة العلمية فيه والسفن الخاصة التي تؤمن القيام بهذه الدراسات والمباحث الدقيقة ، ولصغر حجمه وضيق رقعته الجغرافية .

ونحن نرى ان مثل هذا الاعتراض واه لا يقوم على اساس . ان ما للكويت من الامكانيات المادية ، ومن التفتح والوعي ، ما يمكنه من تذليل هذه الصعوبات بالذات التي واجهت امارة موناكو نفسها عندما اسست

---

(١) ابن ماجد هو صاحب « كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد » وهو مؤلف فني محض ، غني بالاصطلاحات الفلكية والملاحية التي يستعملها الملاحون لتوجيه السفن في البحر الواسع ويوجهونها الوجهة المطلوبة . ومن هذا الكتاب وغيره من الكتب والمباحث التي وضعها الملاحون العرب ، أسس الامير البرتغالي هنري الملاح في لشبونة مدرسة الملاحة ومكتبتها ، فكانت عاملا حاسما من العوامل التي مهدت للكشوف الجغرافية في العصر الحديث .

معهد الاوقيانوغرافيا فيها ، مع ان الكويت اليوم هو اوفر طاقة ، واشد ساعدا ، وارحب رقعة ، من امارة موناكو التي راحت تؤسس معدها وعرفت ان تؤمن له اسباب النهوض والازدهار كله .

ان في انشاء الكويت للجامعة الكويتية والشروع منها بكلية العلـوم وبالمعهد العلمي للاحياء المائية ، يد كريمة لحكومة الكويت على العلـم والتربية العلمية والتمكين لاسبابهما فى العالم العربي وللاجيال العربيـة . فتساعد بذلك على استغلال مواردنا العربية الطبيعية ، وما اكثرهـا ، والاراضي الزراعية الشاسعة ، وما اخصبها ، والثروة البترولية ، ومـا اغزرها ، والموقع الجغرافي الممتاز ، وما اندر امثاله ، وهو مركز يسيل له لعاب الدول الكبرى ، فى الشرق والغرب ، كما تساعد على دراسة البحـار دراسة تتبع وتقص لما يمثله البحر من ثروات وطاقات وامكانيات ، لا حد لهـا ولا حصر .

ان فى تأسيس جامعة للكويت وكلية للعلوم ، ومعهد للابحاث المائية ، سعي منه كريم لخلق مجتمع عربي متصنع ، مالك زمام التكنيك ، متحكم باسرار الالة . فالعرب اليوم هم باشد الحاجة الى مثل هذا المجتمع الذي تكثر فيه اليد القادرة على ادارة الالة ، والعقل الفاهم لاسرارها ، فتمدهم الجامعة وما اليها من مؤسسات بالتصنيع والتكنيك والخبرة العلمية .

مكتبـة الجامعـــة

وفى سبيل تقوية ساعد جامعة الكويت وتمكينها من تأدية رسالتها علـى الوجه الاكمل ، لا بد لحكومة الكويت من ان تسعى ، لانشاء مكتبـة للجامعة تكون بغنى اصولها ووفرة مراجعها وما فيها من المراجع الامهات فى البحث العلمي ، ما يجعلها قبلة الطلاب ومقصد الباحثين يؤمونها مـن جميع انحاء العالم العربي بحيث يصبح الكويت بجامعته ومكتبته مصنعـا للثقافة العامية وبوتقة للفكر العلمي فى العالم العربي .

يوسف اسعد داغر

حكايـــة الخرنبـــق

في ذلك الزمان قبيل تفرق اخوان الصفاء فى ادارة « السائـح » قال الشاعر الكاتب النابغة المرحوم نسيب عريضة لهم : قفوا لا تتفرقوا حتى اقص عليكم ما طالعته منذ ايام فى احد الكتب العربية .

فقالـوا له وكان قولهم من فم واحد : هـات لنـا قصتك

وطفق نسيب يروي قصته وهي تتلخص فى انه كان احـد الدراويش البهاليل في احدى الامارات القديمة يحمل لوحا عليه اسماء الـذيـن عرفهم مغفلين حتى من رجال الحكومة فيقراها الناس عن لوحته ويضحكون ثم يتابعون سيرهم ولا حديث لهم غير تلك الاسماء والشائع عن جهلهم .

وحدث ذات يوم ان وفد على الامير رجل كبير العمامة حسن الهندامة سيال القريحة فى الحديث ينزل كلامه سحرا فى نفس سامعه فينصاع الى غايته القائمة على الخنفشارية .

ودخل هذا العلامة الغريب على الامير فسلم تسليما كثيرا وجلس امام الامير بعد ان امره بالجلوس . ثم سأله عن قضيته التي يحملها اليه من بلد بعيد فاجاب قائلا بان لا قضية عنده ولكنه يحمل مشروعا عظيما فيه الغنى الاعظم للامير ودولته . واخرج من جيبه لفافة صغيرة ومبردا وضعهما امام نظر الامير وطلب اليه الانتباه الى ما سيصنعه على مـرأى عينيه الكريمتين من اعجب العجائب واغرب الغرائب .

فاسترعى طلبه رغبة الامير واخذ يحدق بيدي ذلك الرجل العظيـم الذي فض اللفافة فاذا فيها حجر اصفر اللون فاعمل به المبرد حتى جمع من مسحوقه شيئا وضعه فى لفافة اخرى اخرجها من جيبه ثم صـب عليها مسحوقا اخر وقدمها الى الامير ليفتحها ، ثم قال له :

يا سيدي الامير ان هذا الحجر الذي اخرجت منه هذا المسحـوق اذا اضيف اليه شيء من مسحوق الخرنبق هذا يصبح الكل ذهبا . وقد

عثرت على كنز منه في بلدي البعيد ولك الان ان تستدعي احد صياغك ليفحص هذا المسحوق المصطنع امامك ، يا مولاي .

فاستدعى الامير اكبر واعلم صياغ البلد وسلمه المسحوق ليفحصه فاذا به يؤكد انه ذهب خالص لا غش فيه . فامره الامير عندئذ بان يعود الى حانوته ليختلي بالغريب الزائر الهائل . فما فرغ المكان لهما حتى سأل زائره عما يحتاج اليه فى استحضار كمية عظيمة من ذلك المعدن ، فاخبره عن انه يحتاج الى قافلة من الجمال العديدة وعدد من الاعوان وقدر من المال مهما يكن عظيما تعظم به الرحلة ويكثر الغنى للامير ودولته .

فجهزه الامير بما طلب واكثر له العطاء . وسار الرجل بحملته نحو بلده . وشاع الخبر بعد ايام فى بلد الامير فما كان من البهلول الا ان وضع اسم الامير فى رأس قائمة المغفلين وسار بلوحته فى الاسواق غير هياب ولا وجل . فلما نمي الخبر الى الامير بعث بمن يحضره اليه . ولما حضر ساله عن سبب فعلته فاخبره ان ذلك الرجل الذي زاره دجال عظيم وانه نجح باغرائهو تدجيله وعاد الى وطنه غنيا عظيما .

فقال له الامير : ومن اعلمك بانه دجال وهو امين رصين وسيعود الينا بالكثير من معدن الخرنبق فاصبح اغنى امير فى الدولة بكثرة ما فىخزينتنا من الذهب الخالص .

فرفع البهلول رأسه نحو الامير وقال له سأبقي اسمك على رأس القائمة حتى اذا عاد الدجال بكنزه محوت اسمك ووضعت اسمه مكانه .

فضحك الصحب لهذه الحكاية .

وقبل ان يتفرقوا استخرج صاحب الادارة لوحة كرتون من احدى الخزائن فعلقها على الحائط قائلا : غدا سنضع اول اسم فى قائمة المغفلين منا عليها ، فمن تظنون سيكون صاحب ذلك الاسم ؟

فقال رشيد ايوب الشاعر الشهير : ضع يا هذا اسمك فانت اول المغفلين واكبرهم . رهنت شبابك للصحافة العربية فى بلد اجنبي فذهب شبابك ذهاب مال الامير على الخرنبق !

وقد وافقه صاحب الادارة على ذلك فكتب اسمه والناظرون يضحكون ثم تفرقوا ليعودوا الى الاجتماع فى الغد .

وعند ظهر ذلك الغد جاء الرشيد وفى يده صرة . ولما سئل عما فيها اجاب بانها تحوي دزينة جوارب اشتراها من محل يبعد نحو عشر اسواق، بدولارين فقط . وقد اراه صاحب المحل مسطرة الجوارب فاذا بها من الجنس الفاخر الذي لا يمكن شراء دزينته باقل من ستة دولارات .

ثم فض رشيد الصرة واخرج منها زوج جرابات فاذا به فى الحقيقة من الجنس الفاخر ولكنه عندما اخرج الازواج الاخرى وجد زوجا احداه طويلة والاخرى قصيرة ، وزوجا تختلف نقوشه في الجوربتين .. حتى اتى على جميع البواقي فاذا بها كلها لا تليق بغير سلة المهملات .

وفيما طفق الرشيد يكيل الشتائم على ذلك المحل وصاحبه كان صاحب السائح قد خطعلى اللوحة الكرتونية اسم رشيد ماحيا اسمه هو عنها .

فلما ابصر رشيد بالكتابة صاح قائلا : ساذهب الان واري ذلك الدجال ان فى السويداء رجالا مثلي وانه لا يستطيع ان يخدعني بل سارغمه على ان يعيد الي الثمن على رغم انفه .

اما صاحب الادارة فتبسم للرشيد امام الحاضرين وقال له : على رسلك يا هذا فانك لن تستطيع ان ترد الجوارب وربما وقعت مع صاحب المحل بشر كبير انت عنه في غنى اذا رضيت بما وقعت به وقنعت بالزوج الاول من الجوارب فهو صحيح ومنتظم اما اذا غامرت بالامر وقصدت المحل واستطعت اقناع صاحبه بان يرد لك الثمن وعدت الينا ناجحا فانا مستعد ان امحو اسمك لاضع اسمه مكان اسمك فى هذه القائمة

ومرت الايام تتوالى واسم الرشيد على اللوح . ولم يسمح الزمن بمحوه حتى كان الحضور قد شبعوا من الحديث عن رشيد وجواربهومن ضحكهم على الخديعة التي كانت نصيبه كما كان نصيبها كتابة اسمه على لوح المغفلين المخدوعين لاكثر من اسبوع ـ رحم الله رشيدا ونسيبا الشاعرين المهجريين الاكبرين .

نيويورك (البيان) **عبد المسيح حداد**

اوقفوا المؤتمرات وانقدونا تكاليفها

روى الادباء العائدون من المؤتمر الرابع الذي انعقد فى الكويت اواخر شهر ديسمبر الفائت ان حكومة الكويت انفقت عليه مليوني ليرة لبنانية .وقيل ان المؤتمر السابق الذي انعقد فى القاهرة كلفالحكومة مليون ليرة .وانعقد قبله مؤتمران فىسوريا ولبنانتقدر تكاليفهما معابمليون ليرة على اقل تقدير .

ذلك يعني ان الحكومات العربية انفقت في سبيل الادب خلال اربع سنوات اربعة ملايين ليرة لبنانية . انفقتها سدى وجزافا .

كانت اهدافها اربعة : تعزيز الادب ورفع مستواه . صيانة حقوق الادباء والناشرين . تعميم الثقافة بين الجماهير . تآلف الادباء من مختلف الاقطار العربية نتيجة للتعارف الشخصي .

فجاءت النتائج ويا للاسف بعيدة عن الاهداف ، ان لم نقل مناقضة لها. واصبح الفشل الذي تكرر اربع مرات ظاهرا ملموسا خيب آمال الشعوب فى ادبائها ، وزعزع ثقة الحكومات بهم فاصبحت لا تنوي المجازفة باموال اخرى في تجربة خامسة .

هل ادرك الادباء المؤتمرون ـ او المتآمرون ـ فداحة المسئولية التي وقعت على عاتقهم من جراء هذا الفشل ؟

اضاعوها ، واية فرصة ذهبية اضاعوا ..

اضاعوا سانحة نادرة من سوانح الدهر فى البلاد العربية . حكومات تتبنى قضايا الادب وتبذل جهودها واموالها فى تنظيم المؤتمرات ورعايتها . كانت هذه السانحة حلما يراود اذهاننا . فلما تحقق عن يد الحكومات توارى على يد الادباء .

جاؤونا بمحاضرات احسنها تقرأ مثله فى المجلات الادبية . وبتحقيقات قرانا ما يشابهها فى الكتب المدرسية . وبتوصيات هي من نصيب ادراج المكاتب فى دوائر الحكومات . حيث تنام على حرير .

اضف الى ذلك المنازعات بين وفد ووفد واحيانا بين عضو وعضو من الوفد الواحد ، حتى ان الفائدة المتوخاة من التعارف الشخصي ـ وهي اقل الفوائد شانا ـ لم تتحقق .

ضحت الحكومات بالجهود والاموال . ولكن المؤتمرين لم يضحوا بالنعرت والعنجهيات وبرهنوا على ان الطاقة الادبية وحدها دون الاخلاص للادب ، تضر المجتمع اكثر مما تنفع .

اربعة ملايين ليرة تنفق في اربعة مؤتمرات حتى نسمع بعدها قول الوفد اللبناني عن النتائج « ان التوصيات تصطدم بالصعوبة المادية فيستحيل تنفيذها » .

دعنا من التوصيات الخارجة عن اختصاص الادباء ، كقضية البترول العربي والتوجيه السياسي ،ولنبحث في التوصيات الداخلة فىاختصاصهم فنجد انهم يوصون بطبع كتب ، وبناء مسارح ، وانشاء معاهد ثقافية ، ومنح جوائز ادبية ولكنهم يأسفون لعدم توفر المال اللازم لهذه المشاريع .

وهنا محل العجب . بجزء صغير من الاربعة ملايين ليرة التي هدرت يطبع ماية كتاب . وبجزء اصغر ننشىء ندوة كبرى للادب . وبالباقي نضع الف جائزة للمتفوقين في الانتاج . فالاسف على ما كان له مبرر واضح . اما ما سيكون فلا مجال للاسف ان ظلت الحكومات على غيرتها المشكورة واستعدادها المحمود تجاه الادب والادباء فاستمرت على بذل المساعدات مع تغيير الوسائل والاتجاهات .

يجب ان تكف عن عقد المؤتمرات . وتنفق المال المرصد لها على ما يحتاجه الادب من اعمال انشائية تقدمية تضعها الحكومات موضع التنفيذ بعد استشارة ذوي الاختصاص في التخطيط والتصميم وفي التربية والتعليم . فهل تفعل ؟

(الديار) **جورج صيدح**



٤ يناير ١٩٥٩ – وصل غروتوول رئيس وزراء المانيا الشرقية الى القاهرة على رأس وفد رسمي في جولة لبعض اقطار الشرقين الاوسط والاقصى

– وصل القاهرة رشيد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية .

٥ – انهى همر شولد محادثاته في عمان وسافر للقاهرة

– وصل ميكويان الى وشنطن واجرى محادثات مع دالس .

٦ – رقي الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزارة العراقية والقائد العام للقوات المسلحة الى رتبة لواء

– وصل الى القاهرة السنيور فنفاني رئيس وزراء ايطاليا في زيارة رسمية

٧ – صرح غروتوول بان الاتفاق قد تم على اقامة علاقات قنصلية مع ج . ع . م

٨ – تسلم الجنرال ديغول مهام رئاسة الجمهورية الفرنسية في احتفال رسمي ، وقد عين ديغول رئيسا للوزارة ميشيل دوبريه وهو ديغولي قديم

– اعلنت وزارة خارجية المانيا الغربية انها تسعى للحصول على ايضاح من الرئيس عبد الناصر للانباء القائلة باقامة علاقات قنصلية مع المانيا الشرقية

٩ – وصل الى القاهرة الدكتور نكروما رئيس وزراء غانا

– اعلن في القاهرة ولندن استئناف المفاوضات بين مصر وبريطانيا لتسوية المشاكل المعلقة بينهما ، وسافر وفد بريطاني الى القاهرة لهذه الغاية

١٠ – اقترح الاتحاد السوفياتي عقد مؤتمر صلح الماني في براغ او فرصوفيا في غضون شهرين وسلم الدول الغربية مسودةمعاهدة صلح

١١ – قرر العراق والمانيا الشرقية بحث انشاء تمثيل دبلوماسي بينهما في الوقت المناسب وقد صدر بلاغ مشترك عن محادثات غروتوول رئيس حكومة المانيا الشرقية مع اللواء قاسم

١٢ – صرح ميكويان في سان فرنسيسكو بقوله : يجب تحقيق ضمان السلم وان نحاول التقارب احدنا من الاخر اكثر فاكثر ويجب ان نضع حدا للحرب الباردة

١٣ – اعلن بودوان ملك بلجيكا انه قرر منح الكونغو استقلالها في الوقت المناسب على ان يتم ذلك بالتدريج . وكانت الكونغومسرحا لاضطرابات عنيفة في الايام الاخيرة .

– قررت فرنسا اطلاق سراح الزعيم الجزائري مصالي الحاج ضمن فرنسا مع منع رجوعه الى الجزائر وكان الزعيم محتجزا في « الجزيرة الجميلة » منذ ١٩٥٢ . وتقرر نقل احمد بن بله ورفاقه الاربعة من السجن الى « الجزيرة الجميلة » للاقامة الجبرية . واطلق سراح ٧ الاف معتقل جزائري مع تخفيف جميع احكام الاعدام

١٤ – صرح الدكتور والتر بيكر سفير المانيا الغربية في القاهرة ان ج . ع . م . لم تعترف بجمهورية المانيا الديمقراطية

– اعترف لبنان بحكومة الجزائر الموقتة

– قال ايزنهاور ان امريكا مستعدة لاعطاء روسيا ضمانات ضد انبعاث الروح العسكرية الالمانية واعرب عن ثقته بان الالمان يريدون العيش بسلام وحرية

١٥ – ابلغ الجنرال ديغول الجمعية الوطنية الفرنسية ان تحويل الجزائر وتهدئة الاوضاع فيها ضروريان لايجاد حل سياسي في الجزائر

١٦ – بعثت امريكا الى الاتحاد السوفياتي مذكرة جوابيةرفضت فيها استئناف مؤتمرمنع الهجوم المفاجيء بسبب فشله بوضع جدول اعماله وطالبت بالبحث عن اسس جديدة

– تم في القاهرة توقيع الاتفاق المصري البريطانيلتسويةالمشاكلالماليةالمعلقة بالحروف الاولى

١٧ – اجتمع ايزنهاور مع ميكويان للتباحث في الخلافا تالناشبة بين الشرق والغرب وقد سلمه ميكويان رسالة خاصة من خروتشيف

١٩ – صرح ميكويان بان الحرب الباردة في وزارة الخارجية الامريكية لا تزال مستمرة وهي تؤثر في التجارة الخارجية

٢٠ – وصف الرئيس عبد الناصر الاتفاق المالي البريطاني المصري بانه الخطوة الاولى نحو اعادة العلاقات الطبيعية بين البلدين وانه يجب ان يكون نقطة انطلاق نحو تفاهم افضل

– قال اديناور مستشار المانيا الاتحادية ان الخطوة القادمة في ما يتعلق بالحالة في برلين ستكون نوعا من المفاوضات مع موسكو

٢١ – قال ايزنهاور انه مستعد لتسوية الخلاف مع روسيا في اي وقت ولكن امريكا لن تسمح لاحد بالتحكم بها

٢٣ – وصل ميكويان الى كوبنهاغن عائدا الى موسكو وتحدث عن رحلته الى امريكا وكرر الدعوة الى عقد ميثاق عدم اعتداء بين الشرق والغرب والى اتخاذ اجراءات اخرى لضمان السلام العالمي

٢٥ – تسلمت ج . ع . م ثلاث غواصات سوفيانية جديدة وصلت الى الاسكندرية

٢٦ – استقال فانفاني رئيس الوزارة الايطالية الائتلافية

– اسقطت الحكومة الاردنية الجنسية عن ٤٨ اردنيا يعيشون خارج الاردن

٢٧ – انعقد في موسكو المؤتمر ٢١ للحزب الشيوعي السوفياتي والقى خروتشيف خطابا اعلن فيه ان الاتحاد السوفياتي يقوم بصنع القذائف العابرة للقارات بالجملة وان روسيا تستطيع اطلاق قذائف شديدة التدمير الى اي مكان في العالم ونفى ان تكون الحرب من الامور التي لا تمر منها كما تحدث عن الخلاف مع ج . ع . م .

٢٨ – اختتم مجلس وزراء ميثاق بغداد مؤتمره في كراتشي وصدر بلاغ يعرب عنالقلق من استمرار جهود الشيوعية الدولية الرامية الى السيطرة على منطقة الميثاق . ومما يذكر ان العراق لم يحضر المؤتمر .

٣٠ – وصل بيروت الدكتور القيسوني وزير المال والاقتصاد المركزي في ج . ع . م . في زيارة رسمية

قررت امريكا تلبية طلب اليمن بارسال ١٥ الف طن من القمح والطحين فورا لمساعدة ضحايا الجفاف والمجاعة في اليمن .

اول فبراير ١٩٥٩ – قال دالس انه سيعمل لتقريب وجهات نظر الحلفاء حول قضية برلين وعقدمؤتمرشرقي غربي لتقريرمصير المانيا

٢ – افتتح في القاهرة المؤتمر الاول للشباب الاسيوي الافريقي

– بدأت بغداد باذاعة تسجيلات للمحاكمة السرية التي جرت للعقيد عبد السلام عارف نائب رئيس الحكومة السابق

– قال ميكويان في مؤتمر الحزب الشيوعي انه شعر بان امريكا لا تريد التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاشتراكية .وقال ان الواجب يدعو الى اتباع القول بالفعل .واعلن عن استعداد السوفيات لتوقيع اتفاق تجاري مع امريكا

مطبعة هيكل الغريب
بيروت – تلفون ٤٦١٨٥